

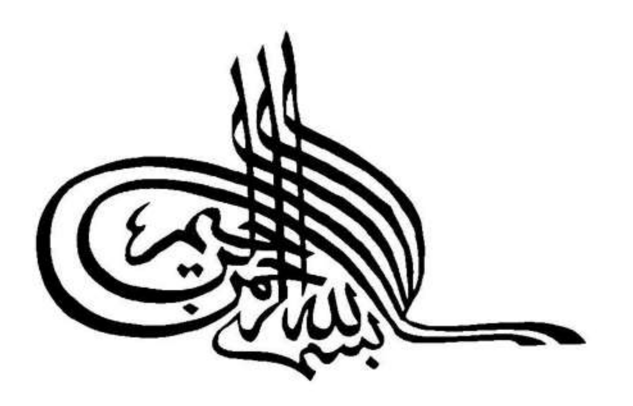
دلائل الربوبية

(أدلة وجود الله - توحيد الربوبية - قضية الإلحاد)



د. أبوزيد بن محمد مكي

دلائل الربوبية



دلائل الربوبية

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز»



Business center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith,
London W6 9DX, UK

www. Takween-center.com
info@Takween-center.com

تصميم الغلاف :



+966 5 03 802 799
المملكة العربية السعودية – الخبر
eyadmousa@gmail.com

مقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فلا بدَّ من الحرص على تعلم العقيدة الإسلامية لأسباب كثيرة منها:

١ ـ **ليصح التدين بالإسلام**؛ فلو زعم التدين بالإسلام مع شكه في وجود الله، أو أحد أركان الإيمان الستة، لم يقبل منه إسلامه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

٢ ـ **ولتقبل الأعمال الصالحة**؛ فلو صلَّى وصام وعمل أنواع الخيرات، وهو على الشرك لم تقبل منه طاعاته، قال تعالى ـ عن أنبيائه ـ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ـ عن نبيّه محمد ﷺ ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٣ ـ **ولتسهل الاستقامة على الدين**؛ فإن رسوخ الإيمان يذيق طعم التمسك بالدين حلاوة في الصدر، وسروراً في الحياة؛ رغم ما فيه من تعب ومشقة.

أخرج الإمام مسلم بسنده عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**»(١).

٤ ـ **وليعتدل في تمسكه بالدين**؛ فلا ينحرف مع الغلاة أو الجفاة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٥ ـ **ولتصح معرفته، وليصح تصوره لنفسه وللحياة وللكون**؛ فإن أركان الإيمان تعرِّفك بحقيقتك وسر وجودك وحقيقة الدنيا وحقيقة الكون، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٨، ٢٩].

٦ ـ **ولتصلح جوارحه**؛ فإن رسوخ الإيمان يصلح الجوارح، ويدفع لفعل الخيرات ويمنعها من الوقوع في المنكرات.

ففي البخاري ومسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا**

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٢)، (ح٣٤).

يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ: اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ. وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كالراعي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ؛ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1].

٧ ـ وليسعد في الدنيا؛ فإن الإيمان يكسب الإنسان الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

٨ ـ وليفوز في الآخرة بجنة عرضها السمٰوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٠ ـ ٦٣].

وإنَّ من أعظم وأول مسائل العقيدة: دلائل الربوبية، والمتضمنة: أدلة وجود الله تعالى، وتوحيد الربوبية، والرد على الملاحدة؛ ولذا فقد اخترت أن يكون موضوع هذا البحث وعنوانه: «دلائل الربوبية».

وأهدف من ورائه: تمكين الدارس من التدليل على وجود الله تعالى، وتمكينه من نقض شبهات المنكرين لوجود الله قديماً وحديثاً إجمالاً، وتأصيله في مسائل توحيد الربوبية؛ تدليلاً واستنباطاً للمكانة والمقتضيات والثمرات، وبياناً لنواقضه، ومنقصاته.

وقد جعلت المادة في ثلاثة مباحث بمطالبها؛ وفق الخطة التالية:

ـ المبحث الأول: أدلة وجود الله؛ وفيه تمهيد، وسبعة مطالب:

ـ المطلب الأول: دليل الفطرة.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠)، (ح٥٢)؛ صحيح مسلم (٣/ ١٢١٩)، (ح١٥٩٩).

- المطلب السابع: دور العلم الحديث في الرد على الملاحدة.
- المطلب الثامن: موقف المسلم من قضية الإلحاد ومن الملاحدة.

سائلاً الله تعالى الإعانة، والتوفيق، والإخلاص، والقبول؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

أدلة وجود الله

وفيه تمهيد، وسبعة مطالب:

- المطلب الأول: دليل الفطرة.
- المطلب الثاني: دليل الخلق والإيجاد.
- المطلب الثالث: دليل الإحكام والإتقان.
- المطلب الرابع: دليل التخصيص.
- المطلب الخامس: دليل التقدير.
- المطلب السادس: دليل دلائل النبوة.
- المطلب السابع: دليل مكارم الأخلاق.

تمهيد

- أولاً: تعريف الدين الإسلامي.
- ثانياً: تعداد مراتب الدين الإسلامي، والتعريف بكل مرتبة.
- ثالثاً: تعداد أركان الإيمان الستة.
- رابعاً: تعداد أركان الإيمان بالله.

أولاً: تعريف الدين الإسلامي

الدين الإسلامي هو: عبادة الله وحده لا شريك له، بالدين الخاتم الناسخ الذي جاء به الرسول محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله تعالى، في جميع مناحي الحياة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر: ١٤].

- ونعتقد أن به صلاح الدنيا والآخرة، والأرواح والأبدان، والأفراد والمجتمعات.
- ونعتقد وجوب الولاء والبراء عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين ديناً؛ إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله: هو الاستسلام لله وحده؛ فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده؛ بعبادته وحده دون ما سواه.

فمن عبده وعبد معه إلٰهاً آخر لم يكن مسلماً، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، والإسلام هو الاستسلام لله؛ وهو الخضوع له، والعبودية له»[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالإسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين، وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً غيره؛ لا من الأولين ولا من الآخرين، ولا تكون عبادته مع إرسال الرسل إلينا إلا بما أمرت به رسله، لا

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٣).

بما يضاد ذلك؛ فإن ضد ذلك معصية، وقد ختم الله الرسل بمحمد ﷺ فلا يكون مسلماً إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام»[(١)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الدين الإسلامي: هو الدين الذي بعث به الله محمداً ﷺ، وختم الله به الأديان، وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة، ورضيه لهم ديناً؛ فلا يقبل من أحد ديناً سواه»[(٢)].



(١) المصدر السابق (٧/ ٢٦٩).

(٢) شرح أصول الإيمان، لابن عثيمين (ص٥).

ثانياً: تعداد درجات الدين الإسلامي
والتعريف بكل درجة

أخرج الإمام مسلم بسنده، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»**.

قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**.

قال: فأخبرني عن أمارتها؟

قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**».

قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: «**يا عمر أتدرى من السائل؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ **عن هذا الحديث**: «حَدِيثٌ عَظِيمٌ جِداً، يَشْتَمِلُ عَلَى شَرْحِ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آخِرِهِ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»؛ بَعْدَ أَنْ شَرَحَ دَرَجَةَ الْإِسْلَامِ، وَدَرَجَةَ الْإِيمَانِ، وَدَرَجَةَ الْإِحْسَانِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِيناً»[2].

• الدرجة الأولى: الإسلام:

إذا نطق بالشهادتين عالماً بمعناهما، ملتزماً العمل بمقتضاهما؛ فقد صعد الدرجة الأولى في الدين الإسلامي.

وأركان الإسلام خمسة هي: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فأمَّا الإسلام، فقد فسّره النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة؛ من القول والعمل. وأول ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ وهو عمل اللسان، ثم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»[3].

ويقول رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله في بعض الروايات: «فإذا فعلت ذلك، فأنا مسلم؟» قال: «**نعم**» يدل على أن من كمل الإتيان بمباني الإسلام الخمس، صار مسلماً حقاً، مع أن من أقر بالشهادتين، صار مسلماً حكماً. فإذا دخل

---

(١) صحيح مسلم (١/٣٦)، (ح١).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٩٧).

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٩٨).

في الإسلام بذلك، ألزم بالقيام ببقية خصال الإسلام»[1].

وبيَّن رَحِمَهُ الله أن جميع الأعمال الظاهرة تدخل في مسمى الإسلام، وكذلك ترك المحرمات[2].

• **الدرجة الثانية: الإيمان:**

إذا امتلأ القلب إقراراً وإيماناً بأركان الإيمان الستة؛ فقد صعد الدرجة الثانية من درجات الدين الإسلامي، وهي درجة الإيمان، وأركان الإيمان هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ الله: «وأما الإيمان؛ فقد فسَّره النبي ﷺ في هذا الحديث: بالاعتقادات الباطنة، فقال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**... والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به؛ من الملائكة، والأنبياء، والكتاب والبعث، والقدر، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به، من صفات الله وصفات اليوم الآخر؛ كالميزان والصراط، والجنة، والنار. وقد أدخل في الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره...»[3].

• **الدرجة الثالثة: الإحسان:**

فإذا عبد الله كأنه يرى الله أمامه، أو مستشعراً رقابة الله عليه؛ فقد صعد الدرجة الثالثة من درجات الدين الإسلامي، وهي درجة الإحسان، والإحسان على درجتين: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ الله: «الإحسان: هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا؛ على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته»[4].

---

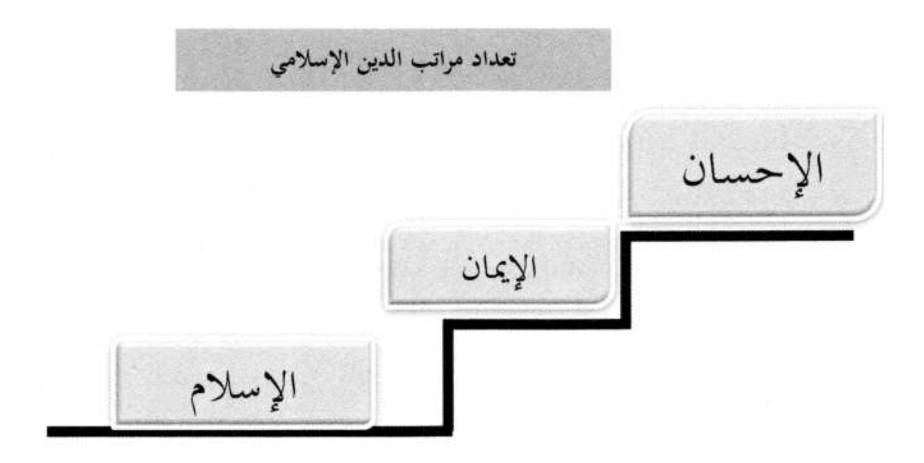
(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٩٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٩٩ ـ ١٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٢٦).

فمن شق عليه ذلك؛ فيستعين عليه بإيمانه بأن الله يراه، ويطلع على سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره؛ فإذا حقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني؛ وهو دوام التحديق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته، حتى كأنه يراه[(١)].



معنى الإسلام والإيمان شرعاً:

الإسلام والإيمان لهما حالتان في النصوص الشرعية:

الحالة الأولى: حالة الإطلاق: يعني: يرد كل منهما في النصوص الشرعية منفصلاً عن الآخر.

ففي هذه الحالة يكون معناهما واحد، وهو الدين كله، فالدين: يعبر عنه تارة بالإسلام، فيكون متضمناً للإيمان، ويعبر عنه تارة بالإيمان ويكون متضمناً للإسلام.

الحالة الثانية: حالة الاقتران: يعني: يرد كل منهما في النصوص الشرعية مقترناً بالآخر.

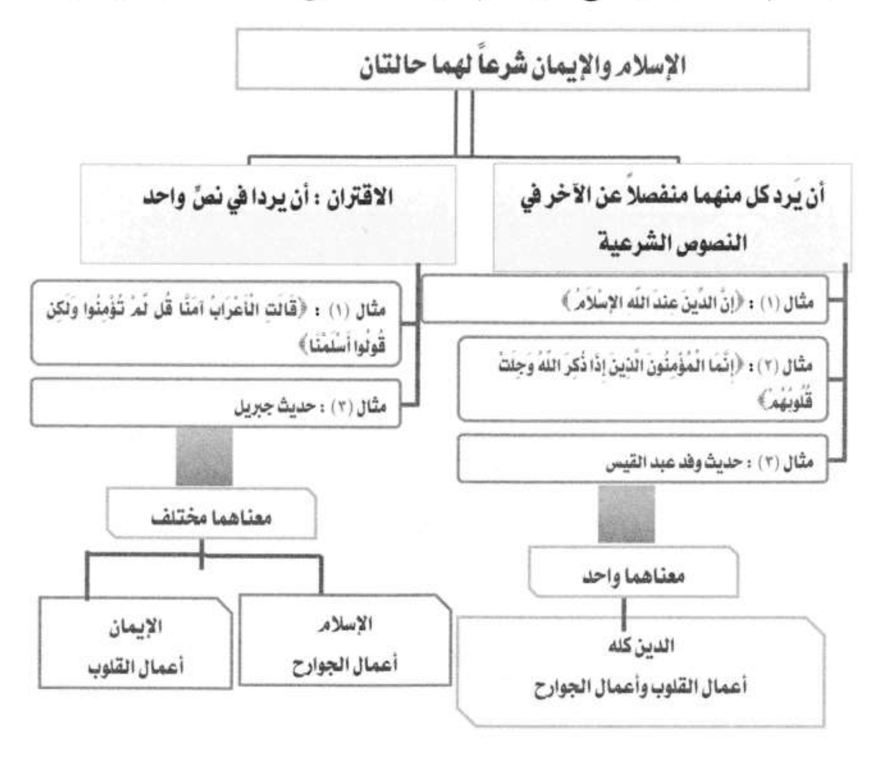
في هذه الحالة يكون بينهما فرق في المعنى؛ فالإسلام يراد به العمل الصالح، والالتزام بالشريعة الإسلامية، فهو الجانب العلانية (الظاهر) من

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/١٢٨ ـ ١٣٤).

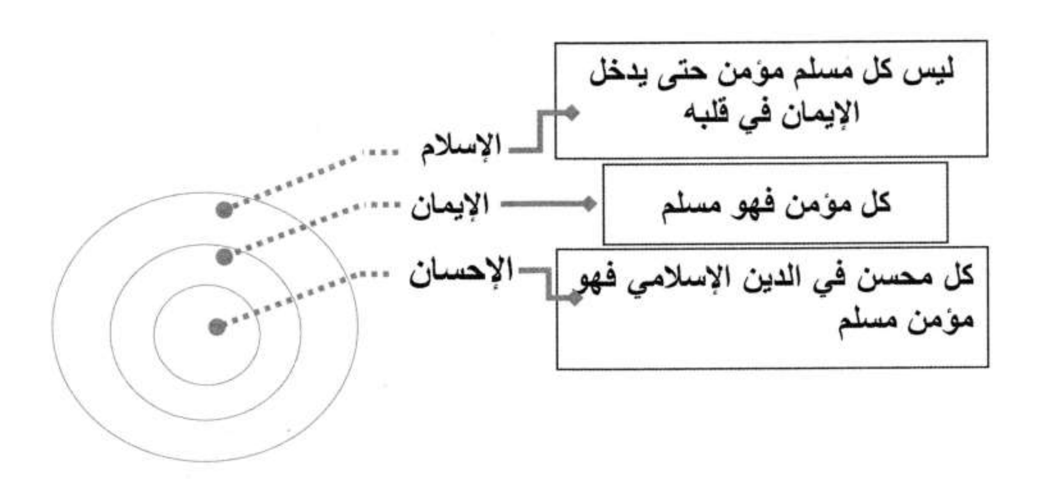
الدين الإسلامي، والمتعلق بالجوارح، ويقوم على خمسة أركان؛ وهي: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

والإيمان يراد به الاعتقاد، فهو الجانب الغيبي من الدين الإسلامي، والمتعلق بالقلب، ويقوم على ستة أركان؛ وهي: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، ويسمى هذا الجانب: (العقيدة الإسلامية).

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التحقيق ـ ابتداء ـ هو ما بيَّنه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان؛ ففسَّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان؛ فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام؛ فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع؛ وهذا هو الواجب»[1].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، وانظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٤ ـ ١٢٥).



الدين الإسلامي كالشجرة

الإسلام هو الجانب الظاهر والمتعلق بالجوارح، ويستمد ظهوره من الإيمان.

الحج
الزكاة
الصوم
الصلاة
الشهادتان

الإسلام (الشريعة)

الإحسان في الإسلام

الإيمان هو الجانب الغيبي والمتعلق بالقلب، ويدل على صدق وجوده: الإسلام.

الإيمان بالله
الرسل
الملائكة
اليوم الآخر
الكتب
القضاء والقدر

الإيمان (العقيدة)

الإحسان في الإيمان

ثالثاً: تعداد أركان الإيمان الستة

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

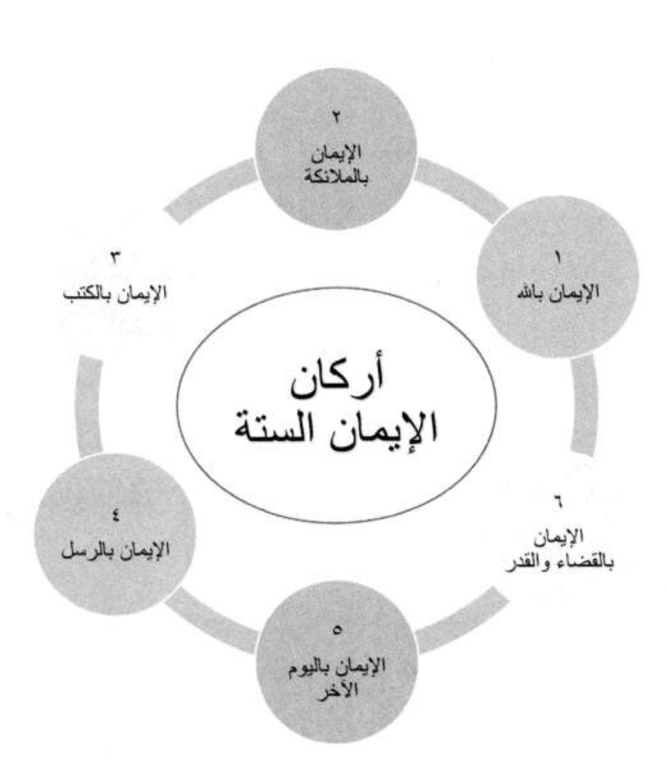
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

وفي حديث جبريل المشهور: «قَالَ: فأخبرني عَنِ الإيمَانِ»، قَالَ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «صَدَقْتَ»[1].

فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ هي أركان الإيمان الستة.

(١) سبق تخريجه.


٢
الإيمان
بالملائكة
١
الإيمان بالله
٣
الإيمان بالكتب
أركان
الإيمان الستة
٦
الإيمان
بالقضاء والقدر
٤
الإيمان بالرسل
٥
الإيمان باليوم
الآخر

رابعاً: تعداد أركان الإيمان بالله

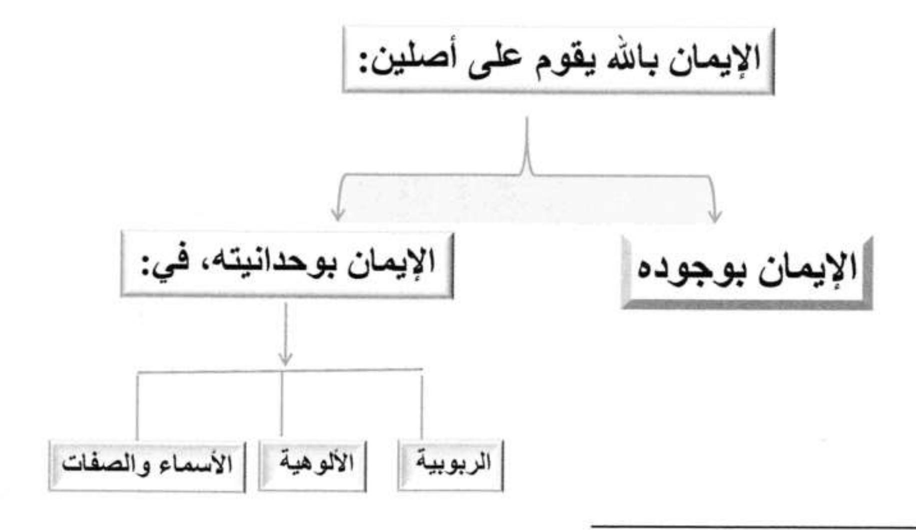
يقوم الإيمان بالله على أصلين هما: الإيمان بوجوده، والإيمان بوحدانيته.

والإيمان بوحدانية الله يكون في ثلاثة أمور: في ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته.

ومن هنا يمكننا أن نقول بأن الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور؛ أو يقوم على أربعة أركان هي:

١ ـ الإيمان بوجوده. ٢ ـ توحيده في ربوبيته.

٣ ـ توحيده في أسمائه وصفاته. ٤ ـ توحيده في ألوهيته[١].



(١) انظر: شرح أصول الإيمان، لابن عثيمين (ص١٣ ـ ٢٤).

المبحث الأول

أدلة وجود الله

المطلب الأول

دليل الفطرة

- المسألة الأولى: المراد بالفطرة لغة وشرعاً.
- المسألة الثانية: المراد بمقتضى الفطرة، والمعرفة الفطرية، وفطرية معرفة الله وتوحيده.
- المسألة الثالثة: المراد بدليل الفطرة وكيفية الاستدلال به.
- المسألة الرابعة: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة الله وتوحيده.
- المسألة الخامسة: مفاهيم خاطئة في موضوع الفطرة.
- المسألة السادسة: أول واجب على المكلف.

* * *

المسألة الأولى: المراد بالفطرة لغة وشرعاً

١ ـ **الفِطْرة لغة**: هي الخِلقة التي يكون الإنسان عليها في أول ابتدائه، وظهوره، وبروزه للحياة.

فالفَطْرُ في اللغة يدور معناه حول: الابتداء والخلق والتشقق.

يقول ابن فارس: «الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ؛ يدلُّ على فَتْح شيء وإبرازه»[1].

ويقول: «والفِطْرَة: الخِلْقة»[2].

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٥١٠).

(٢) المصدر السابق نفسه.

٢ ـ **الفطرة شرعاً**: هي القوة العلمية، والقوة الإرادية؛ اللتان خلق الله الإنسان مزوداً بهما؛ فيعلم الخير ويريده، ويعلم الشر ويبغضه.

فالفِطرة في الكتاب والسُّنَّة هي: الإسلام العام الذي خلق الله الإنسان عليه؛ فقد خلقه وجعل في أصل خلقته: العلم بوجوده، ووحدانيته، ومحبته، وإرادة طاعته، وجعل كذلك في أصل خلقته: بغض الشرك والنفرة منه، وبغض الشر وعدم إرادته.

فإذا تُرِك الإنسان على فطرته؛ قَبِلَ الدين الإسلامي بعقيدته وشريعته؛ لموافقته لما في فطرته، وقد دلت الأحاديث على أن الوالدين لهما الدور الكبير في بقاء الابن على فطرة الإسلام، أو في تغيير الفطرة؛ بالتهويد، أو التنصير، أو التمجيس، أو نحو ذلك.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «في قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه؛ وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم.

وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس، ولن يصلحهم إلا تأله الله وعبادته وحده لا شريك له، وهي الفطرة التي فطروا عليها»[١].

يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تُغير وتُبدل؛ بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة»[٢].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضاً**: «جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلِّهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق؛ وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها»[٣].

---

(١) قاعدة في المحبة. لابن تيمية (ص٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن. للسعدي (ص٣٠٨).

(٣) المصدر السابق (ص٦٤٠).

المسألة الثانية: المراد بمقتضى الفطرة، والمعرفة الفطرية، وفطرية معرفة الله وتوحيده

١ ـ مقتضى الفطرة:

يُراد به: ما توجبه وتحكم به الخلقة السليمة، الباقية على خلقتها التي خلقها الله عليها، ولم تتعرض للتغيير والتبديل.

يقول د. عبد الله القرني: «فيكون المقصود بمقتضى الفطرة: هو مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها قبل أن تنحرف عنه بالتغيير والتبديل»[(١)].

٢ ـ المعرفة الفطرية:

يُراد بها: المعلومات التي يحكم بصدقها بمجرد تصورها، فلا تحتاج في إثبات صدقها إلى نظر واستدلال، فهي مفروضة على الذهن فرضاً، لكون القوى العلمية التي خلق الله الناس مزودين بها تحكم بصحتها.

الأمثلة:

أ ـ النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد.

ب ـ الجزء أصغر من الكل.

ج ـ الحادث لا بد له من محدث.

يقول د. عبد الله القرني: «المقصود بالمعرفة الفطرية ما تقتضيه الخلقة التي خلق الله الناس عليها من المعارف الضرورية، بحيث يكون التسليم بها هو مقتضى الغريزة العقلية التي فطر الله الناس عليها؛ فلا يكون صدقها مستنداً إلى أدلة خارجة عنها، وإنما إلى مجرد تصورها.

وليس المقصود بفطرية تلك المعارف أن تكون كامنة في النفس، حاصلة للإنسان منذ ولادته؛ وإنما تكون حاصلة له بالقوة، بمعنى: أنها المقتضى المباشر للغريزة العقلية»[(٢)].

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢١٠).

(٢) المصدر السابق نفسه.

٣ ـ فطرية معرفة الله وتوحيده:

يُراد بمعرفة الله وتوحيده التي تعرف بالفطرة: المعرفة الإجمالية المتعلقة بوجود الله، وأن له الكمال المطلق، وأنه المحبوب والمقصود وحده بالعبادة، فهو الرب وحده، والمألوه وحده، وأما تفصيلات العبادة والصفات فسبيلها الوحي.

وبمعنى آخر يُقال:

الإنسان إذا ميز وعقل لا يحتاج في إثبات وجود الله إلى نظر واستدلال، بل إلى مجرد التصور، ويثبت لله الكمال المطلق، وأنه تجب محبته، ويجب قصده.

فهذه الأمور من المعارف الفطرية التي خلق الله الناس عليها، ما لم تتعرض فطرتهم للتغيير والتبديل.

وبعبارة أوضح يُقال:

إنَّ الله زوَّد الإنسان بقوى علمية وإرادية في أصل خلقته؛ القوى العلمية توجب معرفة الله، والقوة الإرادية توجب توحيده؛ ما لم تتعرض تلك القوى للتغيير.

وفي حال فساد الفطرة بطارئ؛ فإنه يحتاج إلى نظر واستدلال، ولكن يسلك في ذلك الطرق الشرعية لا البدعية.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن معرفة الله والإقرار به؛ بأنه «مما توجبه الفطرة وتقتضيه، ويوضح مراده بقوله: «كون الخلق مفطورين على دين الله؛ الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم، وبمقتضاها يجب حصوله فيها، إذا لم يحصل ما يعوقها؛ فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء مانع»[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٤/ ٣٢٢).

المسألة الثالثة: المراد بدليل الفطرة، وكيفية الاستدلال به

١ ـ المراد بدليل الفطرة:

إنَّ الله ﷻ خلقنا، وزوَّدنا بقوى علمية وإرادية؛ توجب الإقرار بوجوده ووحدانيته؛ فالاعتقاد بأن الكون لا بد له من خالق، وهذا الخالق محبوب.

وهذا المحبوب لا بد من عبادته وحده، هذه القضايا جعلها الله في قلوبنا منذ أن خلقنا[١].

٢ ـ كيفية الاستدلال بدليل الفطرة:

تقول: الدليل على وجود الله ووحدانيته: الفطرة؛ أي: الأمر المغروز في كل قلب[٢].

أي: أن ذلك تصور ضروري مفروض على الذهن فرضاً فلا أحتاج فيه إلى استدلال ونظر غير مجرد التصور، فبمجرد النظر في المخلوقات أعلم يقينا بأن لها خالقاً.

الأمثلة:

١ ـ **الأعرابي يقول:** البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير[٣].

٢ ـ **أبو حنيفة** رَحِمَهُ اللهُ **يقول:** «أخبروني عن سفينة في دجلة تذهب؛ فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتفرغ وترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً!

فقال لهم: إذا كان هذا مُحالاً في سفينة؛ فكيف في هذا العالَم كُلّه، علوه وسفله؟!»[٤].

---

(١) انظر: المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢١٣ ـ ٢٤٢).

(٢) انظر: دلائل الإسلام، للدكتور أحمد سعد حمدان (ص١٥).

(٣) انظر: العقيدة في الله، للدكتور عمر الأشقر (ص٦٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص٧٠).

المسألة الرابعة: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة الله وتوحيده

١ - قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]: دلَّت الآية على أن الله فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إلٰه غيره.

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾:

- قال بعضهم: معناه: لا تبدلوا خلق الله؛ فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبراً بمعنى الطلب.

- وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم؛ في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك[1].

٢ - قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠]:

هذا يحتمل شيئين:

- أحدهما: أفي وجوده شك؛ فإنّ الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به؛ فإنّ الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها؛ فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إلٰه إلا هو، خالق كل شيء وإلٰهه ومليكه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ط. الشعب (٦/ ٣٢٠)، وتيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٦٤٠).

ـ والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؛ أي: أفي إلٰهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات؛ فلا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط؛ التي يظنونها تنفعهم، أو تقربهم من الله زلفى[1].

٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[2]، دلَّ قوله ﷺ: «يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه» ولم يقل: ويسلمانه؛ على أن المراد بالفطرة: معرفة الله وتوحيده.

وفي رواية: [يولد على الملة]، وفي أخرى: [على هذه الملة]؛ وهذا يدل على أن الله خلق الإنسان مجبولاً على معرفته ومحبته وقصد عبادته[3].

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]:

ـ هَذِه الْآيَة بَيِّنَة فِي إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة الَّتِي فطروا عَلَيْهَا أَن الله رَبهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: (أشهدهم) يقتضي أنه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم، وهذا الإشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آباؤهم، وهذا الأخذ المعلوم المشهود الذي لا ريب فيه هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات... فهذا الإقرار حجة لله عليهم يوم القيامة، فهو يذكر أخذه لهم، وإشهاده إياهم على أنفسهم، إذ كان سبحانه خلق فسوّى، وقدّر فهدى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ط. الشعب (٤٠١/٤ ـ ٤٠٢)؛ وتيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٤٢٢).
(٢) صحيح البخاري (٩٤/٢)، (ح١٣٥٨)؛ صحيح مسلم (٢٠٤٧/٤)، (ح٢٦٥٨).
(٣) انظر: فتح الباري (٢٥٠/٣)؛ شرح النووي (٨٤/٤)؛ المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢٢٧ ـ ٢٣١).

فالأخذ يتضمن خلقهم، والإشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار، فإنه قال: (أشهدهم)؛ أي: جعلهم شاهدين»[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علماً ضرورياً لهم، لا يمكن أحداً جحده... وأما الاعتراف بالخالق فإنه علم ضروري لازم للإنسان، لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بد أن يكون قد عرفه، وإن قدر أنه نسيه، ولهذا يسمى التعريف بذلك تذكيراً، فإنه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد»[2].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم، كان معهم ما يبيِّن بطلان هذا الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية.

كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه**»، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجون بها.

وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد، حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول، فإنه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا»[3].

ـ وَطَائِفَة من الْعلمَاء جعلُوا هَذَا الْإِقْرَار لما اسْتخْرجُوا من صلب آدم، وَأنه أنطقهم وأشهدهم[4].

وسواء كان هذا الإقرار مقالي في عالم الذر، أو كان الإقرار حالي وهو المعرفة بالله وتوحيده التي خلقهم عليها، فكلاهما دالٌّ على فطرية المعرفة والتوحيد.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٤٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٨٩).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٤٩١).

(٤) انظر: معارج القبول، لحافظ الحكمي (١/ ٨٤ ـ ٩٠)؛ وفطرية معرفة الله، وموقف المتكلمين منها، للدكتور أحمد سعد حمدان (ص١٠٥ ـ ١١١).

يقول الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآيات [الأعراف: ١٧٢]؛ وهو الذي قاله جمهور المفسرين - رحمهم الله - في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الآية [الروم: ٣٠]، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب؛ تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول، فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف؛ لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله الله عليه فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد، ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول؛ بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوَّده أبواه، أو نصَّراه، أو مجَّساه؛ فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته، وصدق بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذباً بالأول؛ فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقامت عليه حجة الله، وغلبت عليه الشقوة، وحق عليه العذاب؛ ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء.

ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيراً قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة؛ فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن

كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملاً لو أدركه...»[1].

٥ ـ عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**»[2]:

دلَّ ذلك على أن الحنيفية جبلة وهي: معرفة الله وتوحيده، وأن الكفر بالله والشرك به طارئ على قلوب البشر من تأثير الشياطين[3].

المسألة الخامسة: مفاهيم خاطئة في موضوع الفطرة

١ ـ الفطرة لا تقتضي التوحيد، وإنّما هي مجرد القابلية للتوحيد:

قول غير صحيح؛ لأن المعنى يكون: كل مولود يولد قابلاً؛ فلا يكون حينئذ هناك فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب.

فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلّمانه ويهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه.

فلما ذكر في الحديث أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام علم أن حكم حصول الإسلام بسبب منفصل غير حكم الكفر، وهو المقتضى الفطري.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «قلت: هذا القائل إن أراد بهذا القول أنهم خلقوا خالين من المعرفة والإنكار، من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان وكتابة الكفر، وليس

---

(١) انظر: معارج القبول، لحافظ الحكمي (١/ ٩٢ ـ ٩٣).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧)، (ح٢٨٦٥).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٤/ ٣٢٢)؛ المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢٣٥).

هو لأحدهما أقبل منه للآخر، وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام ـ فهذا قول فاسد؛ لأنه حينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار، والتهويد والتنصير والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب؛ فكان ينبغي أن يقال: فأبواه يسلِّمانه ويهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه، فلمّا ذكر أن أبواه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام، علم أن حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل غير حكم الكفر»[1].

٢ ـ الفطرة هي موافقة القدر السابق:

حقيقة هذا القول: أن كل مولود فإنّه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه.

ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله لها؛ وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة، وهذا قطعاً ليس هو المقصود في الحديث.

وأيضاً: فإنه لو كان المراد ذلك لم يكن لقوله ﷺ: **«فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه»** معنى؛ فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها.

وعلى هذا القول فلا فرق بين التهويد والتنصير حينئذ، وبين تلقين الإسلام وتعليمه، وبين تعليم سائر الصنائع؛ فإن ذلك كله داخل فيما سبق به العلم.

وأيضاً: فتمثيله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت؛ يبيِّن أن أبويه غيّرا ما ولد عليه.

وأيضاً: فقوله: «**على هذه الملة**»، وقوله: «**إني خلقت عبادي حنفاء**»؛ يخالف هذا.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٤٤٤)؛ وانظر: المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢٤٢ ـ ٢٤٨).

وأيضاً: فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الإنسان؛ فإنه من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله، فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله في موضع آخر: يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا ينافي ذلك؛ فإن الله تعالى قدَّر الشقاوة والسعادة وكتبها، وقدَّر أنها تكون بالأسباب التي تحصل بها، كفعل الأبوين. فتهويد الأبوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدره الله تعالى.

والمولود ولد على الفطرة سليماً، وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الأبوان، كما قدر الله تعالى ذلك وكتبه.

كما مثَّل النبي ﷺ ذلك بقوله: «**كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»، فبيَّن أن البهيمة تولد سليمة، ثم يجدعها الناس، وذلك بقضاء الله وقدره؛ فكذلك المولود يولد على الفطرة سليماً، ثم يفسده أبواه، وذلك أيضاً بقضاء الله وقدره.

وإنّما قال الأئمة: ولد على ما فطر عليه من شقاء وسعادة؛ لأن القدرية كانوا يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقدر الله، بل مما فعله الناس؛ لأن كل مولود يولد خلقه على الفطرة، وكفره بعد ذلك من الناس.

ولهذا قالوا لمالك بن أنس: إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث، فقال: احتجوا عليهم بآخره، وهو قوله: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

فبيَّن الأئمة أنه لا حجة فيه للقدرية؛ فإنهم لا يقولون إن نفس الأبوين خلقاً تهوّده وتنصّره، بل هو تهوّد وتنصر باختياره، لكن كانا سبباً في ذلك بالتعليم والتلقين، فإذا أضيف إليهم بهذا الاعتبار، فلأن يُضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى؛ لأن الله، وإن خلقه مولوداً على الفطرة سليماً، فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلم ذلك»[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٣٦١ ـ ٣٦٢)؛ وانظر: المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢٤٨ ـ ٢٦٢).

المسألة السادسة: أول واجب على المكلف

أول واجب على المكلف:

هو: النطق بالشهادتين لكون الإقرار بوجود الله فطري في النفوس، ولذا لم تأت الأنبياء بالتدليل عليه، وإنما كانت تستخدمه وسيلة تذكيرية بما هو مستقر في نفوسهم، لأمر الناس بالعبودية لله تعالى وحده.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ـ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ـ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ؛ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[(1)].

ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه.

فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، وكل مولود يولد على الفطرة؛ لكن عرض للفطرة ما غيرها والإنسان إذا ذُكِّر ذَكَر ما في فطرته.

ولهذا قال الله في خطابه لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤]؛ ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه، ويعرف إنعامه عليه، وإحسانه إليه، وافتقاره إليه؛ فذلك يدعوه إلى الإيمان، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ما ينذره به من العذاب، فذلك أيضاً يدعوه إلى الإيمان.

كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

---

(١) صحيح البخاري (٢/١٢٨)، (ح١٤٩٦).

[النحل: ١٢٥]؛ فالحكمة تعريف الحق فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة، ومن نازعه هواه وعظ بالترغيب والترهيب.

فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه؛ فإن الحق محبوب في الفطرة، وهو أحب إليها، وأجلّ فيها، وألذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له؛ فإن الفطرة لا تحب ذاك[1].

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/٦ ـ ١٠)؛ المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٢٦٦ ـ ٢٧٠).

المطلب الثاني

دليل الخلق والإيجاد

- **المسألة الأولى: المراد بدليل الخلق والإيجاد.**
- **المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله تعالى.**

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل الخلق والإيجاد

يُراد **بدليل الخلق والإيجاد**: الاستدلال بوجود كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى على وجود الله؛ فكل شيء مخلوق يدل على وجود الخالق.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «العالَم بالفتح مثل الخاتَم: ما يعلم به، كما أن الخاتم ما يختم به.. ويسمى كل صنف من المخلوقات عالماً؛ لأنه علم وبرهان على الخالق تعالى»[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ووجه الدلالة من الآية: في لفظ الربوبية؛ فإنّه يتضمن السيادة والملك والتدبير، والخلق من لوازم ذلك[2].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر؛ رحمة من الله بخلقه»[3].

---

(١) النبوات، لابن تيمية (٢٦٨).

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢١٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٣٧).

يقول د. عبد الله القرني: «المقصود بدليل الخلق والإيجاد: ما يقتضيه حدوث الأشياء المشاهدة من ضرورة أن يكون لها موجد؛ لاستحالة أن يكون وجودها وانتقالها من العدم إلى الوجود ذاتيّاً أو من غير سبب»(١).

ويقول د. سعود العريفي: «إن كل شيء يدل على وجود الله تعالى؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته ـ سبحانه ـ وما ثَمَّ إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه فطرةً وبداهةً، إذ ما من أثر إلا وله مؤثر»(٢).

ويقول أيضاً: «كل ما ذكر في القرآن من إضافة الربوبية أو شيء من معانيها إلى المخلوقات ـ جميعها أو بعضها سواء عبّر عنها بلفظ (العالمين) أو ما في معناه ـ، كل ذلك يتضمن إشارة إلى دلالة هذه المربوبات على ربها، وشهادة هذه الآثار بوجود مؤثرها، فدل ذلك على أن القرآن لا تكاد تخلو سورة من سوره، بل ربما آية من آياته؛ إلا وفيها إشارة إلى دليل وجود الله ـ تبارك وتعالى ـ، وبذلك يتقرر ما ذكرنا من أن أدلة وجود الله ﷻ تفوق العدّ والحصر»(٣).

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله تعالى

يمكن الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد وفق الخطوات التالية:

أ ـ العالم مخلوق:

الدليل: المشاهدة:

١ ـ الإنسان ـ مثلاً ـ كان معدوماً ثم وجد، ثم بعد وجوده يعدم، فهو مخلوق؛ وكل الناس كذلك.

٢ ـ وهكذا سائر المخلوقات شاهدنا آحادها، معدومة ثم وجدت، ثم تعدم بعد وجودها فهي مخلوقة، فحكمنا على كلها.

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥٠٦).

(٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢٠٩).

(٣) المصدر السابق (ص٢١١).

٣ ـ نقيس ما غاب عنا على ما شاهدناه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب، ونحو ذلك معلوم بالضرورة؛ بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة، فالعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري لا يحتاج إلى دليل»[1].

ب ـ المخلوق لا بد له من خالق:

الدليل: ضرورة عقلية

١ ـ لا يُجادل في كون الحادث لا بد له من محدث إلا من فقد العقل.

٢ ـ نجري تجربة على طفل صغير؛ بصفعه من الخلف، ثم يقال له: هذه صفعة تكونت في الهواء ونزلت عليك من غير صافع فهل يقبل؟!

العلم بأن المحدَث لا بد له من مُحدِث علم فطري، ضروري، فمعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل أن الحادث لا يحدث إلا بمحدث أحدثه.

من (أ) و(ب) النتيجة:

العالم لا بد له من خالق لأنه مخلوق، فكل من سلَّم بأن العالم مخلوق لزمه التسليم بأن العالم لا بد له من خالق.

يقول د. عبد الله القرني: «وعلى هذا يكون دليل الخلق والإيجاد هو مقتضى مقدمتين معلومتين بالضرورة:

إحداهما: ما نشاهده من حدوث الأشياء في الواقع بمقتضى إدراكنا الحسي المباشر، **والثانية**: ما يقتضيه ذلك من ضرورة أن يكون لتلك الظواهر الحادثة موجد، وفق مبدأ السببية القائم على ضرورة أن يكون لكل حادث سبب، واستحالة الوجود الذاتي للممكنات، أو أن يكون وجودها من غير سبب»[2].

---

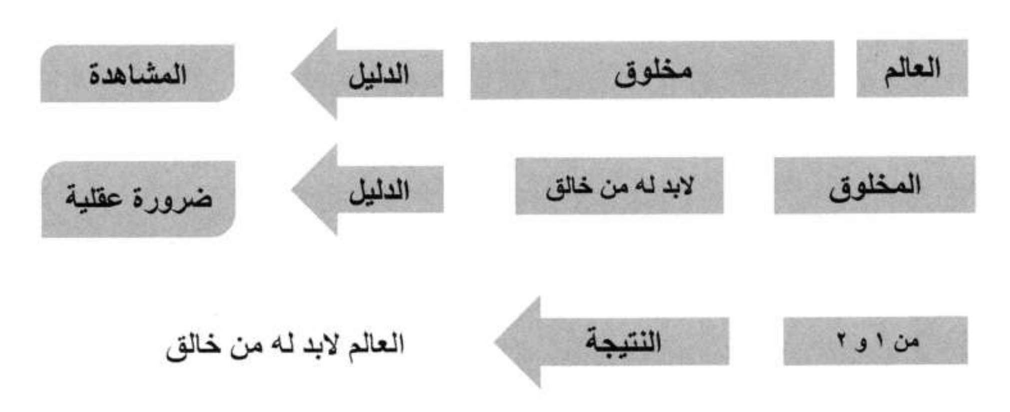
(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٧/ ٢١٩).

(٢) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥٠٦ ـ ٥٠٧).

ويقول أيضاً: «فأما المقدمة الأولى: وهي إثبات حدوث الأشياء المشاهدة فهي مقتضى ضرورة الإدراك الحسي، وهي من جنس إثبات وجود الأشياء في الواقع الخارجي.

فكما لا يمكن الشك في الوجود الواقعي للأشياء، فكذلك لا يمكن الشك في حدوثها»[(١)].

ويقول: «وأما المقدمة الثانية لدلالة الخلق والإيجاد: فتقوم على مبدأ السببية، من جهة أن الحوادث المعلوم حدوثها بالضرورة لا يمكن أن يكون حدوثها ذاتيّاً، ولا أن توجد بلا سبب؛ فلا بد أن يكون لها موجد وهو الله ﷻ»[(٢)].



ولننتقل للبحث عن: من هو الخالق؟

الخالق هو:

١ ـ العدم: (من غير خالق).

٢ ـ الطبيعة: (وجود ذاتي).

٣ ـ مخلوق آخر: (التسلسل).

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥٠٧).

(٢) المصدر السابق (ص٥١٦).

٤ ـ قديم غير محدث: (مخالف لجميع المخلوقات في وجوده وصفاته).

١ ـ العدم: (من غير خالق):

مستحيل بالضرورة العقلية؛ لكونه غير موجود فكيف يوجد غيره، وهو لا يستطيع إيجاد نفسه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم؛ حتى الصبيان لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل له: ما ضربك أحد؛ لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل!

ولهذا لو جوّز مجوّز أن تحدث كتابة أو بناء أو غراس ونحو ذلك من غير محدث لذلك لكان عند العقلاء إما مجنوناً، وإما مسفسطاً؛ كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية»[١].

٢ ـ الطبيعة: (وجود ذاتي):

يقصد بها: القوانين والسنن والأسباب؛ فهذه إجابة عن «كيف» وليست عن «من»؟ **هذا أولاً**.

مثال: الأعرابي الذي دخل المدينة؛ فوجد الماء يخرج من صنبور في الجدار، فقال: إن الذي أحضر الماء لداخل المنزل هو المواسير لا الإنسان. **وثانياً**: القول بالوجود الذاتي للممكنات مستحيل بالضرورة العقلية.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «معلوم أن الشيء لا يوجد نفسه؛ فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم. لا يكون موجوداً بنفسه، بل إن حصل ما يوجده وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه، وعدمه بدلاً عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم وهذا بيِّن. ومما يقرره: إن ما يمكن عدمه بدلاً عن وجوده لا يكون وجوده بنفسه.

---

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٣/ ٢٠٣).

فلو كان وجوده بنفسه لكان واجباً بنفسه، ولو كان واجباً بنفسه لم يقبل العدم، وهو قد قبل العدم فليس موجوداً بنفسه»[1].

زعموا أن الكون تكوَّن من مادة أزلية أبدية، وهذه المادة كانت دائمة الحركة، وبسبب حركتها الدائمة اصطدم بعضها ببعض فأنتجت من خلال هذا التصادم الوجود؛ وهذا باطل من وجوه عديدة:

أ ـ المادة التي زعموا ميتة؛ لا يمكن أن تصدر عنها الحياة.

ب ـ المادة التي زعموا غير عاقلة، ولا مدركة لما حولها، إضافة إلى موتها؛ فكيف يمكن أن يوجد منها ما هو عاقل ومدرك؟!

ج ـ المادة غير قادرة وليس لها إرادة؛ فكيف يمكن أن توجد ما هو قادر مريد؛ ففاقد الشيء لا يعطيه؟!

د ـ المادة التي زعموا أنها أزلية لا يمكن أن تكون وجدت من لا شيء؛ فهذا مستحيل معلوم بطلانه ببداهة العقول.

هـ ـ الحركة غير العاقلة لا يمكن أن توجد هذا الكون المنظم؛ فإن الحركة التي لا يضبطها منظم لها لا يمكن أن يوجد منها شيء ذو معنى.

٣ ـ مخلوق آخر: (التسلسل):

ـ مستحيل؛ لقولنا: مخلوق، فقد كان معدوماً، محتاجاً إلى من يوجده. (تسلسل الفاعلين: ممتنع ضرورة عقلية).

ـ معلوم بضرورة العقل أن المحدث لا بد له من محدث، وأنه يمتنع تسلسل المحدثات، بأن يكون للمحدث محدث، وللمحدث محدث إلى غير غاية؛ وهذا يسمى: تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء.

ـ والشك في هذا من وسوسة الشيطان، لهذا أمر النبي ﷺ العبد إذا خطر له ذلك: أن يستعيذ بالله منه، وينتهي عنه.

---

(١) العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (١/ ٣٤).

ـ فالموجود إما قديم وإما محدث، والمحدث لا بد له من قديم ينتهي إليه.

ـ ومعلوم أن المحدث الواحد لا يحدث إلا بمحدث، فإذا كثرت الحوادث وتسلسلت كان احتياجها إلى المحدث أولى، وكلها محدثات فكلها محتاجة إلى محدث؛ وذلك لا يزول إلا بمحدث لا يحتاج إلى غيره، بل هو قديم أزلي بنفسه ﷻ[1].

٤ ـ قديم غير محدث: (مخالف لجميع المخلوقات في وجوده وصفاته):

١ ـ مخالف لجميع المخلوقات في وجوده؛ فوجوده لم يسبق بعدم، ولا يلحقه فناء؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء.

٢ ـ مخالف لجميع المخلوقات في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فلا ند له فيها ولا نظير، ليس كمثله شيء، وهو الحي القيوم، السميع البصير.

وهذا هو الله ﷻ؛ وهو المطلوب إثباته.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ـ يقول تعالى هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوع من غير صانع، ومخلوق من غير خالق.

ـ ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها، ثم مر بها فرأى فيها بنياناً وقصوراً وعمارات محكمة؛ لم يخالجه شك ولا ريب أن صانعاً صنعها، وبانياً بناها.

ـ ثم قال: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: وهذا أيضاً من المستحيل؛ أن يكون العبد مُوجداً خالقاً لنفسه، فإن من لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده، وتعاطيه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٤٤٥).

أسباب الحياة ساعة واحدة، ولا أصبعاً ولا ظفراً ولا شعرة؛ كيف يكون خالقاً لنفسه في حال عدمه؟!

النتيجة:

إذا بطل القسمان؛ تعيّن أن لهم خالقاً خلقهم، وفاطراً فطرهم، فهو الإله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلٰهاً غيره وهو وحده الخالق لهم[1].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تقسيم حاصر يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا ممتنع في بداءة العقول، أم هم خلقوا أنفسهم؟ فهذا أشدّ امتناعاً؛ فعلم أن لهم خالقاً خلقهم، وهو ﷻ.

ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار؛ ليبيّن أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية، مستقرة في النفوس، لا يمكن لأحدٍ إنكارها.

فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه»[2].

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٣).

(٢) الرد على المنطقيين (ص٢٥٣).

الخلاصة :

العدم
(من غير خالق)

مستحيل لكونه غير موجود فكيف يوجد غيره ، وهو أصلا لا يستطيع إيجاد نفسه

الطبيعة
(وجود ذاتي)

يقصد بها : القوانين والسنن والأسباب فهذه إجابة عن كيف وليس عن من .
(مستحيل ضرورة عقلية)
مثال : الأعرابي والماء في المنزل

مخلوق آخر
التسلسل

مستحيل ، لقولنا مخلوق ، فهو كان معدوماً ، فهو محتاج إلى من يوجده
(تسلسل الفاعلين: ممتنع ضرورة عقلية)

قديم غير محدث
مخالف لجميع المخلوقات في :

١ . وجوده ، فوجوده لم يسبق بعدم ، ولا يلحقه فناء .
٢ . وفي ذاته وأسمائه وصفاته ، فلا ند فيها ولا نظير.
وهذا هو الله –سبحانه وتعالى–

المطلب الثالث

دليل الإحكام والإتقان

- **المسألة الأولى: المراد بدليل الإحكام والإتقان.**
- **المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان على وجود الله تعالى.**

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل الإحكام والإتقان

يُراد به: الاستدلال بما يظهر في كل مخلوق من مخلوقات الله من آثار الإحكام والإتقان؛ على وجود مُحكم متقن، وهو الله تعالى.

يقول د. عبد الله القرني: «يدل المخلوق على الله أيضاً: من جهة ما يظهر في المخلوقات من النظام المحكم، وأنها إنما وجدت لتحقيق غايات محدودة، وأن ذلك لا يمكن أن يوجد لها لذاتها، أو من غير سبب؛ فلا بد أن يكون لها موجد، وهذه هي دلالة الإحكام والإتقان»[1].

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان على وجود الله تعالى

يمكن الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان على وجود الله تعالى من خلال المُقدمتين التاليتين:

ـ **المقدمة الأولى:** وجود الإحكام والإتقان في أي مخلوق من المخلوقات:

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (٥١٧ ـ ٥١٨).

الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي).

ـ **المقدمة الثانية**: الإحكام والإتقان المدرك حسّاً لا يمكن أن يكون:

١ ـ من غير سبب.

٢ ـ أو يوجد لها لذاتها.

الدليل: ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالق عليم حكيم؛ خلق المخلوقات بهذا الإحكام والإتقان؛ وهو الله ﷻ، وهو المطلوب إثباته.

يقول د. عبد الله القرني: «وتقوم هذه الدلالة على مقدمتين معلومتين بالضرورة؛ تتعلق إحداهما: بالإدراك الحسي الضروري لما يظهر من الإحكام والإتقان في المخلوقات، والثانية: أن ذلك لا يمكن أن يكون اتفاقياً من غير خالق، ولا لأمر يعود إلى طبيعة المخلوقات، بل لا بد أن يكون هو مقتضى خلق الله للمخلوقات؛ وفق علمه وحكمته»[1].

ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

ـ وقال تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

تأمل في الإحكام والإتقان في خلق الإنسان:

١ ـ تأمل في خلق العينين: مكانهما وحمايتهما بالأجفان، وتزيينهما بالحواجب وبالرموش.

٢ ـ تأمل في خلق الأذنين.

٣ ـ تأمل في خلق الفم؛ وما فيه من أسنان ولسان.

٤ ـ تأمل في خلق اليدين.

تأمل الإحكام والإتقان في خلق الكائنات البرية والبحرية والطيور:

١ ـ تأمل في خلق الجمل والماعز.

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥١٨).

٢ ـ تأمل في خلق الطيور والنحل.

٣ ـ تأمل في خلق الأسماك.

٤ ـ تأمل في خلق الحيوانات البحرية.

تأمل الإحكام والإتقان في الكون:

١ ـ لو اقتربت الشمس قليلاً عمّا عليه الآن؛ لفسدت الحياة.

٢ ـ أو ابتعدت قليلاً؛ لتجمدت البحار وفسدت الحياة.

٣ ـ لو اقترب القمر قليلاً؛ لطغى الماء، أو ابتعد قليلاً؛ لجفت البحار.

٤ ـ لو زادت نسبة الأكسجين؛ لما استطعت تشعل عود ثقاب سيحصل الاحتراق، ولو قَلّت؛ لما استطعت التنفس.

هل كل هذا صدفة؛ من غير حكيم مبدع متقن لطيف خبير قدير؟!![1].

تلخيص كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان		
المقدمة الأولى	**وجود الإحكام والإتقان في أي مخلوق من المخلوقات.**	الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي)
المقدمة الثانية	**الإحكام والإتقان المدرك حسا لا يمكن أن يكون:** أ- **من غير سبب.** ب- **أو يوجد لها لذاتها.**	الدليل: ضرورة عقلية
النتيجة	وجود خالق عليم حكيم خلق المخلوقات بهذا الإحكام والإتقان. وهو الله سبحانه وتعالى.	وهو المطلوب إثباته

(١) انظر: العقيدة في الله، للدكتور عمر الأشقر (ص٩٥ ـ ١٥٣).

المطلب الرابع

دليل التخصيص والهداية والعناية

- **المسألة الأولى: المراد بدليل التخصيص والهداية والعناية.**
- **المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل التخصيص والهداية والعناية على وجود الله تعالى.**

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل التخصيص والهداية والعناية

يُراد **بدليل التخصيص**: بالنظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله ـ سواء في المخلوق نفسه، أو مقارنة بغيره ـ فإننا نجد مظاهر تخصيص له بهيئة معينة، أو مقدار معين؛ ليتحقق بها مصالحه، ولولا هذا التخصيص لفسدت حياته، وهذا يدل على وجود مُخصص له؛ وهو الله ﷻ.

يقول د. سعود العريفي: «تنص هذه الدلالة على أنه يجوز عقلاً أن يكون كل جزء من العالم على خلاف صورته وصفته وحالته التي هو عليها الآن، فكونه على هذه الصورة التي هو عليها الآن يحتاج إلى مخصص يخصصها بالوجود، دون غيرها من الصفات والأحوال الممكنة الأخرى»[1].

ويقول د. عبد الله القرني: «وحاصل هذا الوجه في الدلالة على وجود الله تعالى: أنه لا يمكن أن تتحقق الهداية للمخلوقات دون أن يقتضي ذلك إثبات العلم والحكمة لمن جعلها كذلك، فلا بد أن يكون الله هو الذي خلقها وهداها تلك الهداية، إذ لا يمكن أن تكون تلك الهداية هي مقتضى طبائع

---

(١) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢٤١).

الأشياء في ذاتها؛ لما علم بالضرورة من أنّ ما عليه المخلوق من الهداية يقتضي أن يكون مخلوقاً لغاية محددة، وذلك لا يمكن أن يكون ذاتياً.

فلزم مما سبق أن إثبات وجود الله تعالى هو حقيقة ضرورية يدركها الإنسان بمجرد إدراكه لشيء من مظاهر هداية المخلوقات لما خلقت له»[1].

ويقول د. سعود العريفي عن دلالة العناية: «ويراد بالعناية ما نشهده ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عموماً، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلى فيما نراه وندركه من موافقة هذه الموجودات بعضها لبعض، وذلك لا يكون قطعاً إلا من قِبل فاعل قاصد لذلك مريد.

فهذه الدلالة تنبني على أصلين:

الأول: العلم بهذه الموافقة.

الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد مريد»[2].

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل التخصيص والهداية والعناية على وجود الله تعالى

يمكن الاستدلال بدليل التخصيص والعناية على وجود الله تعالى من خلال المُقدمتين التاليتين:

ـ **المقدمة الأولى**: وجود خواص مميزة لكل مخلوق من المخلوقات، وله هيئة مخصوصة؛ بحيث لو لم يكن بهذه الخواص لفسد.

والدليل: المشاهدة.

ـ **المقدمة الثانية**: هذا التخصيص المدرك حسّاً لا يمكن أن يكون:

١ ـ من غير سبب.

٢ ـ أو يوجد لها لذاتها.

والدليل: ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالق عليم حكيم خلق المخلوقات بهذه الخواص

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥٢٣).

(٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

ليتحقق في الكون النظام، وينتفي عنه الاضطراب والتناقض. وهو الله ﷻ. وهو المطلوب إثباته.

صياغة أخرى لدليل التخصيص:

أ ـ نشاهد أن: كل مخلوق قد خُصَّ بشكل وهيئة، ومقادير محددة؛ بها يظهر التفاوت بينه وبين مخلوق آخر، كذلك أعضاء المخلوق الواحد؛ قد خصَّ كل منها بوظيفة وهيئة مختلفة عن بقية الأعضاء.

ب ـ يجوز عقلاً أن يكون ذلك المخلوق أو العضو على خلاف الصورة التي هو عليها الآن؛ ولو كان على خلاف الصورة التي عليها الآن لفسد.

النتيجة:

من **(أ)**، **و(ب)**: تخصيص المخلوق أو العضو بصورته التي هو عليها الآن يحتاج إلى مخصص.

هذا المخصص لا يمكن أن يكون جامداً لا حياة فيه، أو جاهلاً لا يعلم ويعقل، ضرورة عقلية.

فلا بد أن يكون المخصص عليماً حكيماً؛ عَلِم خصوصيات الأشياء وما يصلح لكل منها، فصوَّرها وفق علمه وحكمته على هذه الأوجه المخصوصة المتقنة، وهذا هو الله ﷻ.

كيفية الاستدلال بدليل التخصيص		
المقدمة الأولى	**وجود خواص مميزة لكل مخلوق من المخلوقات، وله هيئة مخصوصة، بحيث لو لم يكن بهذه الخواص لفسد.**	الدليل: المشاهدة
المقدمة الثانية	**هذا التخصيص المدرك حسا لا يمكن أن يكون:** **أ- من غير سبب.** **ب- أو يوجد لها لذاتها.**	الدليل: ضرورة عقلية
النتيجة	وجود خالق عليم حكيم خلق المخلوقات بهذه الخواص ليتحقق في الكون النظام، وينتفي عنه الاضطراب والتناقض. وهو الله سبحانه وتعالى.	وهو المطلوب إثباته

المستند الشرعي لدليل التخصيص:

المستند الشرعي لهذه الدلالة يكمن في الآيات القرآنية التي تدل على: إمكان تحول المخلوقات إلى مقادير وصفات مضادة تماماً لما هي عليه الآن، ولن تكون صالحة؛ فتخصيصها بصفاتها التي هي عليها الآن لتكون نافعة؛ دالٌّ على مشيئة مخصص متصف بالعلم والحكمة[1].

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٧٤].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العين، والفم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مُرّ؛ فإنّ العين شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب.

وهذه أيضاً حكمة تمليح ماء البحر؛ فإن له سبباً وحكمةً؛ فسببه سبوخة أرضه وملوحتها، فهي توجب ملوحة مائه، وحكمتها أنّها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة؛ فإنّه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحياناً، قتل خلق كثير فإنّه يُفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير.

وماء الأذن مُرّ؛ ليمنع دخول الهوام إلى الأذن.

وماء الفم عذب؛ ليطيب به ما يأكله، فلو جعل الله ماء الفم مرّاً لفسد الطعام على آكله، ولو جعل ماء الأذن عذباً لدخل الذباب في الدماغ، ونظائر هذا كثيرة.

فلا يجوز أن يفعل بخلاف ذلك؛ مثل أن يجعل العينين في القدمين،

---

(١) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢٤٢).

ويجعل الوجه خشناً غليظاً، كالقدمين؛ فإنّه كان يُفسد مصلحة النظر والمشي؛ بل من الحكمة أنه جعل العينين في أعلى البدن، في مقدّمه ليرى بها ما أمامه، فيدري أين يمشي، وجعل الرجل خشنة تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره.

والعين لطيفة يفسدها أدنى شيء، فجعل لها أجفاناً تغطيها، وأهداباً. . . هذا ومثله من مخلوقات الربّ، دلّ على أنه قد أحكم ما خلقه، وأتقنه، ووضع كل شيء بالموضع المناسب له، وهذا يوجب العلم الضروري أنه عالم؛ فيميز بين هذا وبين هذا، حتى خصَّ هذا بهذا، وهذا بهذا.

وهو أيضاً يُوجب العلم الضروري بأنّه أراد تخصيص هذا بهذا، وهذا بهذا؛ فدلّ على علمه وإرادته»[1].

(١) النبوات (٢/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣).

المطلب الخامس

دليل التقدير والتسوية

- **المسألة الأولى: المراد بدليل التقدير والتسوية.**
- **المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل التقدير والتسوية على وجود الله تعالى.**

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل التقدير والتسوية

يُراد به: الاستدلال بما نراه في النفس، وفي الآفاق؛ من التقدير المشاهد فيها على وجود الله.

يقول د. عبد الله القرني: «ومن أوجه هذه الدلالة: أن الله تعالى قد خلق كل شيء بتقدير محدد وهيئة مخصوصة، بحيث يتحقق فيها الانتظام وينتفي الاضطراب والتناقض، فلكل شيء من المخلوقات على كثرتها خواص ذاتية تميزه عن جميع المخلوقات، وكما أن تلك الخواص هي أساس تميز الأشياء؛ فإنها كذلك أساس ما بين الأشياء من السببية، فمن أنكر تلك الخواص فقد ألغى السببية، ومن أنكر السببية لم يمكنه إثبات ما للأشياء من خواص.

فتقدير الله للمخلوقات يقتضي أن تنتظم أمورها وفق سببية مطردة وقوانين محكمة، لا تختلف إلا بإرادة الله تعالى، كما في المعجزات الخارقة للسنن، وأما الأصل في المخلوقات فهو جريانها على تقدير الله تعالى وتسويته لها»[1].

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥١٨ ـ ٥١٩).

ويقول أيضاً: «وجميع هذه الآيات تدل على أن الانتظام في المخلوقات هو مقتضى تقدير الله وتسويته لها، وأنه لا يمكن أن يتحقق الانتظام في المخلوقات من غير مدبر، كما لا يمكن أن يكون هو مقتضى طبائع الأشياء في ذاتها دون أن يكون لها خالق، وهذا يقتضي بالضرورة وجود الخالق ﷻ»[1].

ويقول د. يوسف القرضاوي: «التقدير: هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب؛ بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه، فلا يعطل وظيفتها، أو يعوق سيرها لما خلقت له، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل، ينتظم به سير الوجود كله.

فإذا كانت التسوية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفعه في نفسه ولا يضر غيره، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه»[2].

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل التقدير والتسوية على وجود الله تعالى

يمكن الاستدلال بدليل التقدير والتسوية على وجود الله تعالى من خلال المُقدمتين التاليتين:

ـ **المقدمة الأولى:** وجود مظاهر التقدير بدون زيادة أو نقصان في أي مخلوق من المخلوقات.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

---

(١) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبد الله القرني (ص٥٢٠).

(٢) وجود الله، للدكتور يوسف القرضاوي (ص٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَىِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٨، ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ١٩].

الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي).

ـ **المقدمة الثانية**: التقدير المتقن المحكم المدرك حسّاً لا يمكن أن يكون:

١ ـ من غير سبب.

٢ ـ أو يوجد لها لذاتها.

الدليل: ضرورة عقلية.

النتيجة:

وجود خالق عليم حكيم، خلق المخلوقات بهذا التقدير المحكم المتقن؛ وهو الله ﷻ.

وهو المطلوب إثباته.

يقول د. يوسف القرضاوي: «الماء ـ مثلاً ـ سوّاه الله؛ بمعنى: أنه أحسن خلقه، وهيأه لأداء وظيفته من السقي والري والتطهير والتنظيف، ونحو ذلك، ولكن الماء الذي خلقه الله وأسكنه في الأرض خلقه بقدر، وأنزله بقدر؛ بحيث لا يقل عن حاجة الخلق فيكون الجدب والقحط، ولا يزيد عنها فيكون الغرق والضرر، ولا تطغى المحيطات على اليابسة، ولا الملح على العذب؛ وإلى هذا يشير القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

الشمس: أحسن الله خلقها لتؤدي وظيفتها في إمداد الحياة بالطاقة الضوئية والحرارية، ولكنه خلقها بحيث تجري إلى غايتها في مدار محدود، لا تصطدم بكوكب آخر، ولا تقترب من الأرض قرباً يحرق أحياءها، ولا تبعد

عنها بعداً يحرمها الحرارة اللازمة للحياة فيها؛ وإلى هذا يشير القرآن: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠].

وكل إنسان في أي عصر يستطيع بتأمله وإدراكه الفطري أن يشهد ـ على قدر حاله ـ أن كل شيء في الكون قد خُلق بحساب ومقدار، وجاء العلم الحديث بكشوفه ووسائله، فأماط اللثام عن الحكمة البالغة، والأسرار العجيبة الكامنة وراء ما بين المخلوقات من مقادير وحدود، وضوابط وموازنات»[(١)].

ويقول أيضاً: «ولو تركنا ذلك كلّه وذهبنا إلى الجسم الإنساني نتأمل في أعضائه وأجهزته وخلاياه، وما بينهما من تضامن وتعاون، ومن تناسق وتوازن؛ لأدركنا من دقة التقدير وإحكام التدبير ما لا ينقضي منه العجب...»[(٢)].

كيفية الاستدلال بدليل التقدير		
المقدمة الأولى	**وجود مظاهر التقدير بدون زيادة أو نقصان في أي مخلوق من المخلوقات.**	**الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي)**
المقدمة الثانية	**التقدير المتقن المحكم المدرك حسا لا يمكن أن يكون:** أ- **من غير سبب.** ب- **أو يوجد لها لذاتها.**	**الدليل: ضرورة عقلية**
النتيجة	**وجود خالق عليم حكيم خلق المخلوقات بهذا التقدير المحكم المتقن.** **وهو الله سبحانه وتعالى.**	**وهو المطلوب إثباته**

(١) وجود الله، للدكتور يوسف القرضاوي (ص٥١ ـ ٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص٦٣).

المطلب السادس

دليل دلائل النبوة

- **المسألة الأولى: المراد بدليل دلائل النبوة.**
- **المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل دلائل النبوة على وجود الله تعالى.**

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل دلائل النبوة

يُراد به: كل دليل دلَّ على صدق الرسول ﷺ فهو دالٌّ على وجود الله؛ مثل:

١ ـ الآيات والبراهين؛ الدالة على صدق الرسل.

٢ ـ إجابة دعوات الأنبياء.

٣ ـ النصر على الأعداء.

٤ ـ نوع ما جاء به من الدين الدال على نبوته.

٥ ـ شخصيته وأخلاقه؛ أي: المسلك الشخصي الدال على نبوة النبي.

يقول د. سعود العريفي: «دلائل النبوة تشمل عدة أمور؛ أهمها: آيات الأنبياء التي يظهرها الله ـ تعالى ـ على أيديهم، تصديقاً لهم في دعوى الرسالة، وتسمى عند علماء الكلام بالمعجزات، ويتبع ذلك حصول العاقبة والنصر للرسل وأتباعهم باطراد، مع قلة العَدد والعُدد، كما تشمل أيضاً كرامات الأولياء، التي يظهرها الله ـ تعالى ـ على أيدي أتباع الرسل إكراماً لهم، وهي من جنس آيات الرسل، وتعتبر امتداداً لها، إذ هي شاهدة

بصدقهم، حيث أكرم بها أتباعهم، ويدخل فيها ما يحصل لعباد الله المؤمنين من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الكرامات.

ومع أن دلائل النبوة موجهة أصلاً لإثبات دعوى النبوة والرسالة، إلا أن لها دلالة ـ دون شك ـ على وجود محدثها وموجدها، **وذلك من جهتين:**

أولاهما: أن منها ما هو خارق للعادة، لا يقدر عليه إلا خالق السمٰوات والأرض، ومسيرُ نظام العالم على تلك العادة المخروقة، فدل اقتران خرق تلك العادة مع دعوى الرسالة؛ على وجود رب قادرٍ على كل شيء، هو الذي أرسل هذا الرسول، وصدقه بهذه الآيات، هذا فضلاً عن دلالتها على صدق الرسول نفسه....

ثانيتهما: أن ما سوى الخوارق من دلائل النبوة، قد ثبت به صدق الرسول، الذي قد أخبر عن الرب الخالق العظيم، وعن صفات جلاله وكماله، بما لا يدع مجالاً للشك في كمال ربوبيته وعظمته، فضلاً عن وجوده أصلاً»[1].

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل دلائل النبوة على وجود الله تعالى

يرتب هذا الدليل في الاستدلال به على وجود الله وفق مُقدمتين:

ـ **المقدمة الأولى**: وجود دليل على صدق الرسول ﷺ.

ـ **المقدمة الثانية**: الصادق المصدوق؛ يقول أن الذي أرسله هو الله، فقوله بأنه رسول الله صدق وحق، فهذا دليل على وجود الله تعالى.

ولنأخذ مثالين على ذلك:

أ ـ قصة أبي هريرة رضي الله عنه ومشاهدته دلائل النبوة في سيرة النبي ﷺ:

روى البخاري بسنده عن مُجَاهِد؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: «والله

(١) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص٢٩٦ ـ ٢٩٧).

الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بكبدي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بطني مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً عَلَى طَرِيقِهِمُ الذي يَخْرُجُونَ مِنْهُ. فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا ليشبعني، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَل. ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا ليشبعني، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَل.

ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رآني، وَعَرَفَ مَا في نفسي، وَمَا في وجهي. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَبَا هِرٍّ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ ﷺ: «الْحَقْ»؛ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لي.

فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَناً في قَدَحٍ، فَقَالَ ﷺ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ»؟ قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ. قَالَ ﷺ: «أَبَا هِرٍّ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ ﷺ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي».

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ. إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فساءني ذَلِكَ. فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا. فَإِذَا جَاءَ أمرني ﷺ فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يبلغني مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ.

فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ ﷺ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ ﷺ: «يَا أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»؛ قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ. حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِي ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ ﷺ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ

يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ ﷺ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ. فَقَالَ ﷺ: «اشْرَبْ». فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ». حَتَّى قُلْتُ: لَا والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً. قَالَ ﷺ: «فأرني»، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ»[(1)].

١ ـ الدلائل في شخصيته ﷺ الواردة في القصة:

رأى أبو هريرة رضي الله عنه في النبي ﷺ أخلاقاً لا تكون إلّا في الأنبياء، **مثل**:

١ ـ تبسُّمه حين رآه، وحين سقاه؛ فهذا استدلال على صدقه بالنظر في سلوكه الشخصي.

٢ ـ كرمه ﷺ بلبن مهدى له، وهو ليس عنده شيء سواه.

٣ ـ استضافته ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه وهو من الفقراء.

٤ ـ يشرب ﷺ آخر القوم.

٥ ـ يشرب ﷺ من الإناء نفسه الذي سبقه في الشرب منه الفقراء.

٦ ـ لم يحتفظ لنفسه ﷺ بشيء من اللبن.

٧ ـ يسقي ﷺ أبا هريرة بنفسه.

٨ ـ يتلطف ﷺ معه فيأمره بالشرب حتى يتضلع.

٢ ـ الدلائل في دعوته ﷺ من القصة:

رأى في دعوة النبي ﷺ الأمر بالتوحيد، وحسن الخلق، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، فها هو ﷺ يكرمه، ويضيف أهل الصفة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق.

٣ ـ المبشرات في الكتب السابقة موجودة في القصة:

ففي الكتب السابقة مذكور في صفاته أنه: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؛ فلذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٩٦)، (ح٦٤٥٢).

يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيه».

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٤ ـ الآيات التي أجراها الله على يديه في القصة:

فهذا القدح فيه لبن لا يكفي شخصاً، يكثّره الله على يديه حتى يشرب الجميع، ويشرب أبا هريرة ﷺ حتى لا يجد له مسلكاً، فما يملك نفسه وهو يرى هذه الدلائل حتى يقسم بالله، ويشهد للنبي ﷺ بالرسالة، ويشهد لدينه بأنه حق وصدق.

فهذه الأدلة كلها تدل على صدق الرسول ﷺ، وهي تدل على وجود الله تعالى الذي أرسله وأيّده.

ب ـ في صحيح البخاري:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: إنَّ أعرابياً دخل يوم الجمعة ـ والنبي ﷺ يخطبُ ـ فقال: يا رسول الله: هلك المال، وجاعَ العيال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته.

وفي الجمعة الثانية؛ قام ذلك الأعرابي ـ أو غيره ـ فقال: يا رسول الله: تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه، وقال: **«اللَّهُمَّ حوَالَيْنا ولا عَلَيْنَا»**، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت[1].

فإجابة دعاء الرسول ﷺ دليل على صدقه، وهو يخبر بأن الله أرسله، فهو دليل عظيم على وجود الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري (٢/١٢)، (ح٩٣٣).

يقول ابن تيمية كَلَلهُ: «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع، وحدوث العالم؛ لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز؛ وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه...»[1].

ويقول أيضاً: «الآيات التي يستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم. وإذا كانت دلالتها على صدق الرسول معلومة بالاضطرار، كالمثل الذي ضربوه في أن رجلاً لو تصدى بحضرة ملك مطاع وقال: إن كنت رسولك فانقض عادتك، وقم ثم اقعد، ثم قم ثم اقعد، فخرق الملك عادته، وفعل ما طلبه المدعي على وفق دعواه؛ لعلم الحاضرون بالضرورة أنه فعل ذلك تصديقاً له.

فمن المعلوم أنه إذا تنازع رجلان: هل داخل هذه الدار ناسخ يكتب خطاً مليحاً؟ فأخذ المدعي ورقاً أبيض، ومعه شعر قد صنعوه في تلك الحال في ورقة أخرى، وقال: إن كان هناك ناسخ فلينسخ هذا الشعر في هذه الورقة البيضاء، فأخرجت إليهم الورقة البيضاء وقد كتب فيها ذلك الشعر ـ تيقنوا أن هناك من ينسخ ـ.

فكذلك من نازع في إثبات صانع يقلب العادات ويغير العالم عن نظامه، فأظهر المدعي للرسالة المعجز الدال على ذلك ـ علم بالضرورة ثبوت الصانع الذي يخرق العادات، ويغير العالم عن نظامه المعتاد.

وبالجملة؛ فانقلاب العصا حية أمر يدل على ثبوت صانع قدير عليم حكيم، أعظم من دلالة ما أعيد من خلق الإنسان من نطفة، فإذا كان ذاك يدل بنفسه على إثبات الصانع، فهذا أولى.

وليس هذا الموضع بسط هذا، وإنما المقصود التنبيه على أن المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع وصدق رسوله معاً»[2].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٨/ ٣٥٢).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٤٣ ـ ٤٤).

المطلب السابع

دليل مكارم الأخلاق

- المسألة الأولى: المراد بدليل مكارم الأخلاق.
- المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله تعالى.

* * *

المسألة الأولى: المراد بدليل مكارم الأخلاق

يُراد به: الاستدلال بانتظام حياة الناس بالأخلاق الاجتماعية على وجود الخالق الذي يثيب عليها، ويعاقب من أساء فيها.

يقول د. جعفر شيخ إدريس: «القيم الخُلقية: قيم الصدق والأمانة والوفاء وغيرها، قِيَم ضرورية لوجود المجتمعات البشرية، إنها قيم لا يكون بدونها مجتمع. ولذلك قال بعضهم: إنها مِلاط المجتمع الذي يمسك أفراده كما يمسك الملاط اللبنات التي يتكوّن منها البناء.

إنه بغير هذه القيم لا يكون علم حتى بأمور الدنيا، ولا يكون اقتصاد، ولا تكون علاقات اجتماعية»[1].

المسألة الثانية: كيفية الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله تعالى

يمكن الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله تعالى وفق الخطوات التالية:

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٥٧).

١ ـ مكارم الأخلاق من الخير الواجب التزامه؛ **الدليل**: الفطرة.

٢ ـ صاحب مكارم الأخلاق من الواجب ثوابه، وسيئ الأخلاق من الواجب عقابه؛ **الدليل**: ضرورة عقلية.

٣ ـ أحياناً نجد صاحب مكارم الأخلاق يخسر ويهان، وصاحب الأخلاق السيئة يكرم ويكسب؛ وهذا مخالف للعقلانية.

النتيجة: إما ترك مكارم الأخلاق فيخالف الفطرة، وإما التمسك بالأخلاق؛ فيخالف العقلانية، وكلاهما مذموم.

الصواب: لا بد من دار أخرى فيها الثواب والعقاب، وهذا يتطلب وجود إله سميع عليم.

يقول د. جعفر شيخ إدريس: «فإذا لم يكن هنالك من خالق يرى ويسمع ما يفعل البشر، وإذا لم تكن هنالك من دار أخرى يثيب الله فيها المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وكان الكسب المادي في هذه الحياة الدنيوية هو وحدة الكسب المعتبر؛ لكان الصادقون الأمناء الموفون بعهودهم هم المغفلين الذين لا عقل لهم، ولكان الكذابون الخونة هم العقلاء.

لكن العقل يقول: إن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، لا يمكن أن يكون العقلاء هم الذين يقوّضون المجتمع، والمغفلون هم الذين يبقونه متماسكاً؛ لو كان الأمر كذلك لكانت اللاعقلانية أصلاً أصيلاً في بنية هذه الحياة الدنيوية، ولكانت هذه الحياة ـ لذلك ـ كلها عبثاً، لكن ما من عقل يمكن أن يقبل نتيجة كهذه؛ لأن فيها ـ من بين ما فيها ـ تقويضاً لهم مبدأ تقوم عليه علومنا الكونية كلها، إن هذه العلوم كلها تقوم على افتراض المبدأ المسمى بتناسق الطبيعة، المبدأ الذي يقول: إن قوانين الطبيعة لا تتخلف، وإنه لذلك يمكن أن تدرس دراسة علمية بل رياضية؛ فكيف يكون هذا الكون في جانبه المادي عقلانيّاً، وفي جانبه البشري متناقضاً مع المبادئ العقلية؟!»[1].

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٥٩).

ويقول أيضاً: «وهنالك تناقض آخر يؤدي إليه الإلحاد بالنسبة للقيم الخُلُقية؛ إن الناس مفطورون على أن هذه القيم قيم يحسن بهم أن يلتزموا بها، فهي جزء من تكوينهم العقلي، وهم يشعرون لذلك ـ وما داموا محتفظين بفطرتهم ـ بالسعادة حين يصدقون الحديث، ويؤدون الأمانة، ويوفون بالعهد، ويشعرون بالشقاء حين يكذبون أو يخونون وينكثون.

فالملحد الذي يريد أن يتصرف وفق ما يقتضيه إلحاده؛ يمر بحالات يشعر فيها بالتمزق بين وازعه الداخلي، وتفكيره العقلاني؛ فبينما يقول له الوازع الداخلي: أصدق فهذا أريح لنفسك وأسعد لقلبك، يقول له فكره: لكنك تعتقد أنه ليس وراء هذه الحياة من حياة، والصدق في هذه الحال يفوت عليك لذة عاجلة، ففيم التضحية بها وأنت لا تنتظر أخرى بعدها آجلة؟

يقول بعض من يسمع مثل هذه الحجة؛ لكن الواقع أنه ما كل الملحدين كذابون، ولا كل المؤمنين صادقون؛ فقد يصدق الملحد وقد يكذب المؤمن، وأقول: أجل إن هذا ليحدث؛ لكن الملحد حين يصدق يتناقض مع مقتضيات مبدئه؛ أي: إنه لا يصدق صدقاً يفوّت عليه مصلحة إلا حين يتخلى ـ مؤقتاً ـ عن مبدئه أو عن عقله.

أما المؤمن فالأمر بالنسبة له عكس ذلك تماماً، فهو حين يكذب يكون قد سلك سلوكاً يتناقض مع مبدئه ومع عقله، وحين يصدق يكون موافقاً لهما ولفطرته.

وعليه؛ فإنه كلما كثر عدد الملحدين، واشتد اقترابهم من مقتضيات مذهبهم؛ فإن الكذب عندهم سيزداد لا محالة، وكلما كثر عدد المؤمنين واشتد استمساكهم بدينهم؛ ازداد عدد الصادقين منهم لا محالة»[1].

ويقول أيضاً: «كيف نوفق بين هذا الوازع الداخلي الذي يدعونا إلى مكارم الأخلاق، والعقل الذي يدعونا إلى تحصيل ما ينفعنا ودرء ما يضرنا؟ إنه لا حل عند الملحد؛ إن إلحاده يوجب عليه إما أن يكون داعياً إلى نبذ

---

(١) الفيزياء، ووجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٥٩ ـ ٦٠).

الأخلاق، أو يكون داعياً إلى نبذ العقل؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

كيف يحل الدين هذا الإشكال؟ يقول الدين الحق: نعم إن الأخلاق من الخير الذي فطر الله عليه عباده، ولكن هذه الأخلاق نفسها تقتضي أن يثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ولكن هذا لا يتأتى في دار الدنيا هذه كما هو مشاهد، ولا يمكن إذن أن يتأتى إلا في حياة أخرى بعد هذه الحياة، ولا يتأتى في تلك الحياة الثانية إلا إذا كان هنالك إلٰه عليم عادل حكيم، يعلم ما يعمل الناس الآن؛ ليجازيه عليه غداً»[1].

ويقول أيضاً: «إحكام الخلق وما فيه من تناسق وعناية ـ من بينها وجود قيم خُلُقية لا تصلح مجتمعات الناس إلا بها ـ يتنافى مع عدم وجود دار آخرة.

ولكن إذا كانت هنالك دار آخرة ولم يكن هنالك إلٰه شهيد على الناس في هذه الحياة الدنيا، كي يجازيهم عليها في تلك الدار؛ لم يكن لها من فائدة، بل صار الأمر فيها كالأمر في هذه الحياة الدنيا»[2].

تلخيص دليل مكارم الأخلاق

١- الأخلاق من الخير الذي فطر الله عليه عباده. (وازع داخلي).

٢- هذه الأخلاق نفسها تقتضي أن يثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته. (عقلانية).

٣- هذا الثواب لا يتأتى في دار الدنيا دائما كما هو مشاهد، ولا يمكن إذن أن يتأتى إلا في حياة أخرى بعد هذه الحياة.

٤- ولا يتأتى في تلك الحياة الثانية إلا إذا كان هنالك إله عليم عادل حكيم، يعلم ما يعمل الناس الآن ليجازيهم عليه غداً.

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٦٠ ـ ٦١).

(٢) المصدر السابق (ص٦٤).

المبحث الثاني

توحيد الربوبية

وفيه تمهيد، وثمانية مطالب:

- المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.
- المطلب الثاني: أدلة توحيد الربوبية.
- المطلب الثالث: مكانة توحيد الربوبية.
- المطلب الرابع: أهم خصائص الربوبية.
- المطلب الخامس: مقتضيات توحيد الربوبية.
- المطلب السادس: نواقض توحيد الربوبية.
- المطلب السابع: نواقص توحيد الربوبية.
- المطلب الثامن: ثمرات توحيد الربوبية.

تمهيد

أ ـ تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف التوحيد لغة:

التوحيد لغة: يدور معناه حول الإفراد، والانفراد، وعدم وجود المثل والنظير.

يقول ابن فارس: «الواو والحاء والدال أصل واحد؛ يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله»[1].

ويقول الجرجاني: «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد»[2].

ثانياً: تعريف التوحيد اصطلاحاً:

التوحيد اصطلاحاً: إفراد الله بربوبيته فلا ربَّ سواه، وبإلوهيته فلا مستحق للعبادة إلا إيّاه، وبأسمائه وصفاته فلا ندّ له فيها ولا نظير.

فالتوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب: هو تحقيق معنى لا إلٰه إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، بما شرع؛ لأنه المنفرد بالربوبية، الذي لا مثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٩٠).

(٢) كتاب التعريفات، للجرجاني (ص٧٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا التوحيد: هو عبادة الله وحده لا شريك له، وأن لا نعبده إلا بما أحبه وما رضيه؛ وهو ما أمر به وشرعه على ألسن رسله ـ صلوات الله عليهم ـ فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من كل ما سواهما»[1].

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة»[2].

ويقول المقريزي ـ في كتابه تجريد التوحيد ـ: «اعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومالكه وإلٰهه... فإن الربّ ﷻ هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفّل بصلاحهم من خلقٍ ورزقٍ وعافيةٍ وإصلاح دين ودنيا.

والإلٰهيّة: كون العباد يتّخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات، والتّوبة والنّذر والطّاعة، والطّلب والتّوكل ونحو هذه الأشياء.

فإن التوحيد حقيقته: أن ترى الأمور كلها من الله ـ تعالى ـ رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلّا منه تعالى»[3].

ويقول أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «التّوحيد له قشرتان: **الأولى**: أن تقول بلسانك: لا إلٰه إلّا الله، ويسمّى هذا القول توحيداً، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى... **والقشرة الثانية**: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به، وهذا هو توحيد عامة النّاس.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/٣٧٨).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٠).

(٣) تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي (ص٣٧ ـ ٣٨).

ولُبَاب التوحيد: أن يرى الأمور كلها لله ـ تعالى ـ، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره»[1].

ب ـ حقيقة التوحيد: قول وعمل:

١ ـ قول القلب:

وهو تصديقه وإقراره بوجود الله، وأنه ﷻ المنفرد بخلق العالم وملكه وتدبيره، وأنه لا مثيل له من مخلوقاته، ولا هو مثل شيء من مخلوقاته؛ فهو الخالق وما سواه مخلوق، فيقر لله بما ثبت له في الوحي من الأسماء والصفات مع نفي المثل والنظير، ويؤمن بأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٢ ـ وعمل القلب:

وهو خضوع القلب، وعبوديته لله ﷻ حبّاً وخوفاً ورجاءً، وتطهير القلب من الشرك بجميع أنواعه، ومن التعلق بغير الله في جلب المنافع أو دفع المضار.

٣ ـ وقول اللسان:

بنفي الشريك عن الله، والإقرار بالتوحيد له؛ فينطق بالشهادتين ليعلن التزامه بالعبودية الخالصة لله بما شرع في حياته كلّها، وهذا يتضمن إعلانه انفراد الله بربوبيته وأسمائه وصفاته.

٤ ـ وعمل الجوارح:

فيمتثل لما طلبه الله منه فعلاً أو تركاً، بدون اعتراض أو شرك أو ابتداع في ذلك، بل يلتزم الشرع الذي جاء به الرسول ﷺ عبودية خالصة لله؛ حبّاً فيه، وخوفاً من سخطه، ورجاءً لرحمته، موقناً بأن في ذلك سعادته روحاً وبدناً، وصلاح الدنيا والآخرة، والفرد والمجتمع.

---

(١) تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي (ص٣٨ ـ ٣٩).

حقيقة التوحيد	المـــراد
١ ـ قول القلب	تصديقه وإقراره
٢ ـ وعمل القلب	خضوع القلب، وعبوديته لله ﷻ حبّاً وخوفاً ورجاءً، وتطهير القلب من الشرك بجميع أنواعه
٣ ـ وقول اللسان	بنفي الشريك عن الله، والإقرار بالتوحيد له
٤ ـ وعمل الجوارح	يمتثل لما طلبه الله منه فعلاً أو تركاً بدون اعتراض أو شرك أو ابتداع

ج ـ أقسام التوحيد:

أولاً: من جهة ما يقوم به العبد:

ينقسم التوحيد من جهة ما يقوم به العبد إلى قسمين:

أ ـ التوحيد القولي والعلمي: هو أن يعلم العبد بأن الله واحد لا شريك له، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فهو اعتقاد أن الله سبحانه هو المستحق وحده للعبادة، وأن عبادة ما سواه باطلة؛ لأنه هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير للعالم، لا شريك له في ذلك، وهو الذي يصمد للخلائق فيقضي لها حوائجها، ويعتقد بأن الله هو الآخر الذي ليس بعده شيء، ولذا فهو لم يلد لكمال غناه عن الولد، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، ولذا لم يولد لكمال غناه عن الوالد، فهو الخالق الغني بذاته، فلا يحتاج لمن يخلقه أو يخلفه، وما سواه مخلوق مفتقر إليه، ويعتقد أن الله لا مثيل له ولا نظير له في ذاته أو في أسمائه وصفاته أو أفعاله.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وهذا التوحيد يسمى أيضاً: التوحيد الخبري، ويسمى: توحيد في المعرفة والإثبات؛ أي: الأخبار التي بيّن الله لنا فيها عن أسمائه وصفاته، نثبتها له موحدين له، نافين عنه المثيل.

ب ـ التوحيد العملي الإرادي: هو أن يترك العبد عبادة كل من سوى الله، ويتوجه بالعبادة لله تعالى وحده.

فهو: العبودية الخالصة لله تعالى ـ حبّاً وخوفاً ورجاءً ـ؛ بامتثال ما طلبه الله منا فعلاً أو تركاً من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، بدون اعتراض أو شرك أو ابتداع.

وهذا التوحيد هو مقتضى التوحيد العلمي السابق، فمن علم أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير وجب عليه إخلاص العبادة لله. وهذا التوحيد يسمى أيضاً: التوحيد الطلبي، وتوحيد العبادة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية؛ وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين:

أحدهما: القولي العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال.

والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يعبد إلا إيّاه، فلا يدعو إلا إيّاه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إيّاه، ولا يرجو إلا إيّاه، ويكون الدين كله لله... وهذا التوحيد يتضمن أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، لا شريك له في الملك»[(١)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة»[(٢)].

---

(١) الصفدية، لابن تيمية (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) مدارج السالكين. لابن القيم (١/ ٢٤).

ويقول ابن أبي العز الحنفي كَلَلهُ: «التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول «الحديد»، و«طه»، وآخر «الحشر»، وأول «الم تنزيل السجدة»، وأول «آل عمران»، وسورة «الإخلاص» بكمالها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، وأول سورة ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وآخرها، وأول سورة «يونس» وأوسطها وآخرها، وأول سورة «الأعراف» وآخرها، وجملة سورة «الأنعام».

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي...»[(١)].

ثانياً: أقسام التوحيد من جهة ما يستحقه الرب:

الرب ﷻ واحد في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ ـ ٣].

وقال جابر ﷺ في وصف حجة النبي ﷺ ـ كما في «صحيح مسلم» ـ: «فأهل بالتوحيد: **لبيك اللَّهُمَّ لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٤١).

والنعمة لك والملك. لا شريك لك»[1].

فمن هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ ذكر أهل العلم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **توحيد الربوبية**: وهو إفراد الله تعالى بربوبيته للعالم؛ أي: نعتقد انفراده بالخلق والملك والتدبير.

٢ ـ **وتوحيد الألوهية**: وهو إفراد الله بالتأله؛ وهو التعبد؛ أي: نعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، ونعتقد بطلان عبادة كل من سواه.

٣ ـ **وتوحيد الأسماء والصفات**: وهو إفراد الله بما ثبت له من الأسماء والصفات؛ أي: نؤمن بكل ما أخبرنا الله به عن نفسه في الكتاب أو السُّنَّة نفياً أو إثباتاً بدون تمثيل، فننفي عنه المكافئ والنظير.

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوحيد يتضمن **ثلاثة أنواع**:

أحدها: الكلام في الصفات، **والثاني**: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، **والثالث**: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له»[2].

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]»[3].

التوحيد مصطلح شرعي:

«فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ في الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

---

(١) صحيح مسلم (٢/٨٨٦)، (ح١٢١٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/١٢٥).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/٩).

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ؛ فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ؛ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»»[1].

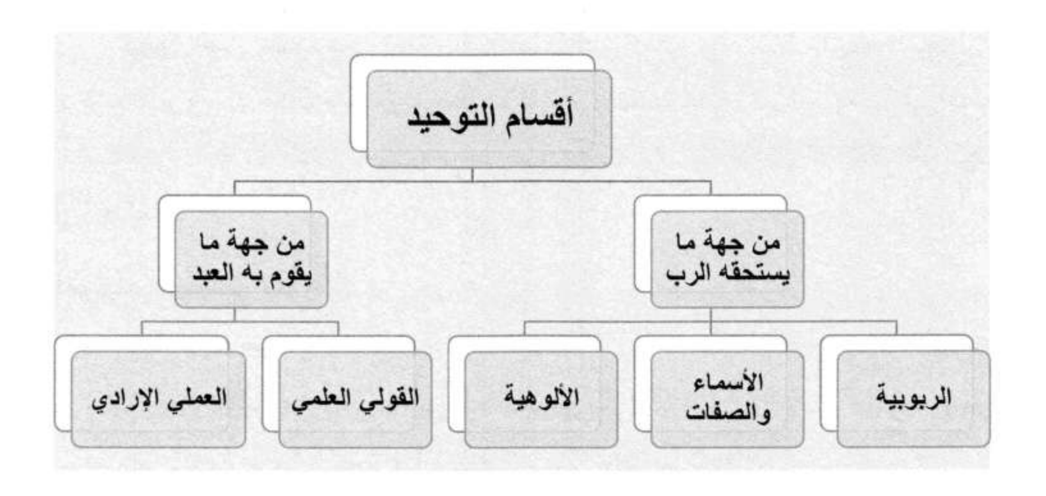
أقسام التوحيد واردة في الكتاب والسُّنَّة:

أ ـ اشتملت سورة الإخلاص على أنواع التوحيد؛ لا سيما الربوبية والأسماء والصفات:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

ب ـ واشتملت سورة الفاتحة بوضوح تام على الربوبية، والأسماء والصفات، والألوهية:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٧].



---

(١) سبق تخريجه.

أقسام التوحيد من جهة ما يستحقه الرب	التعريف	أقسام التوحيد من جهة ما يقوم به العبد
١ ـ الربوبية	نعتقد انفراد الله تعالى بربوبيته للعالم؛ أي: انفراده بالخلق والملك والتدبير.	أ ـ التوحيد القولي والعلمي: هو أن يعلم العبد بأن الله واحد لا شريك له. فهذا القسم يقابله في التقسيم الأول: توحيد الربوبية والأسماء والصفات.
٢ ـ الأسماء والصفات	نعتقد انفراد الله بما ثبت له من الأسماء والصفات؛ أي: نؤمن بأن كل ما أخبرنا الله به عن نفسه في الكتاب أو السُّنَّة نفياً أو إثباتاً لا مثيل له فيه.	
٣ ـ الألوهية	نعتقد انفراد الله باستحقاق التأله، وهو التعبد؛ أي: نعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة، ونعتقد بطلان عبادة كل من سواه.	ب ـ التوحيد العملي الإرادي: هو أن يترك العبد عبادة كل من سوى الله، ويتوجه بالعبادة لله تعالى وحده. وهذا القسم يقابله توحيد الألوهية

العلاقة بين أقسام التوحيد:

أولاً: من جهة ما يقوم به العبد، ومن جهة ما يستحقه الرب:

أ ـ التوحيد العلمي القولي ـ وهو القسم الأول من أقسام التوحيد من جهة ما يقوم به العبد ـ؛ يقابله توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ـ وهما القسمان الأول والثاني من أقسام التوحيد من جهة ما يستحقه الرب ـ.

ب ـ التوحيد العملي الإرادي ـ وهو القسم الثاني من أقسام التوحيد من جهة ما يقوم به العبد ـ؛ يقابله توحيد الألوهية ـ وهو القسم الثالث من أقسام التوحيد من جهة ما يستحقه الرب ـ.

ثانياً: من جهة التضمن والالتزام:

أ ـ التوحيد العلمي القولي ـ توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ـ يستلزم التوحيد العملي الإرادي ـ توحيد الألوهية ـ؛ فمن آمن بانفراد الله بالربوبية لزمه إخلاص العبادة له.

ب ـ التوحيد العملي الإرادي توحيد الألوهية ـ يتضمن التوحيد العلمي القولي ـ توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ـ؛ فمن أفرد الله بالعبادة، واعتقد بطلان عبادة كل من سواه؛ فلا بد أن يكون قد آمن بأنه الرب وحده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ توحيد الإلٰهية وتوحيد الربوبية، وإن كانت الإلٰهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلٰهية؛ فإنَّ أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، وفي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فجمع بين الاسمين اسم الإلٰه واسم الرب فإنَّ الإلٰه هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يربي عبده فيدبره»[1].



ج ـ الواجب علينا في التوحيد:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ مُبيناً الواجب علينا في التوحيد، مع بيان السبب ـ:** «الكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر؛ الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة،؛

---

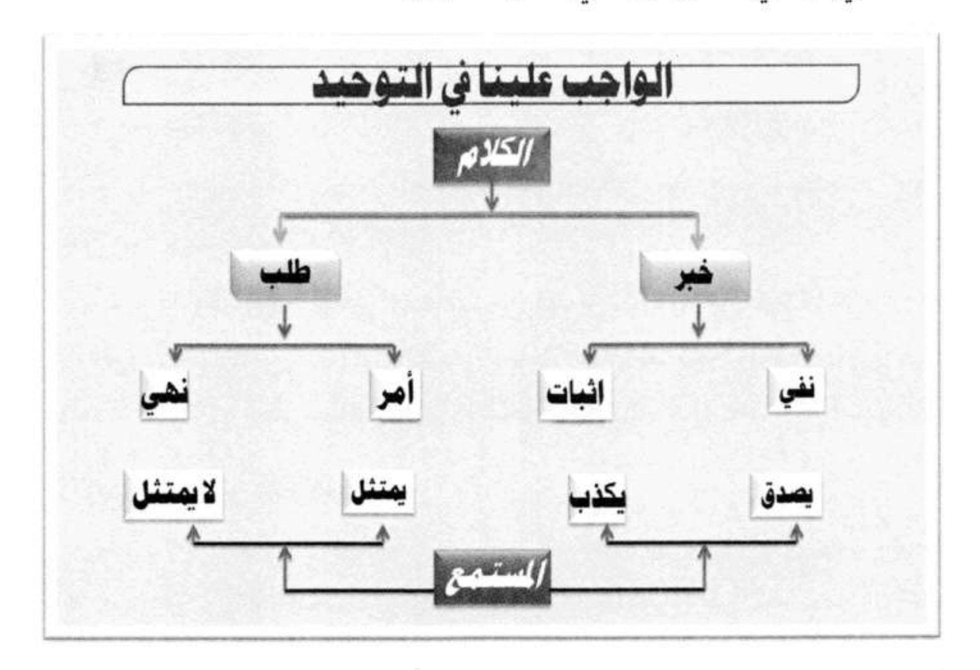
(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ٢٨٢).

الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفياً وإثباتاً. . . .

الكلام نوعان: خبر وإنشاء؛ والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء: أمر أو نهي أو إباحة.

وإذا كان كذلك فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضادّ هذه الحال، ولا بدّ له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه، من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيماناً خالياً من الزلل.

وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول، كما دلت على ذلك سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ودلت على الآخر سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾؛ وهما سورتا الإخلاص، وبهما كان يقرأ ﷺ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك»[1].



(١) التدمرية، لابن تيمية (ص٣ ـ ٥).

أولاً: الواجب علينا في توحيد الربوبية والأسماء والصفات:

١ ـ الإيمان بما أخبرنا الله به عن نفسه في الكتاب أو السُّنَّة بلا شك:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

لما كان الكلام في باب الربوبية والصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات؛ والمخبر هو الله تعالى سواء في القرآن أو السُّنَّة، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فالواجب هو التصديق، بل الإيمان بكل ما أخبرنا الله به عن نفسه نفياً أو إثباتاً، بدون شك في ذلك.

ويجب مع الخبر أن نهتم بأمرين:

أ ـ صحة الخبر: فلا نقبل ما لم يثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وندرس الحديث سنداً ومتناً. فإذا صح الحديث اعتقدنا ما فيه؛ سواء كان متواتراً أو آحاداً.

ب ـ صحة الفهم للخبر: فنتأكد من فهمنا للخبر؛ من خلال عرضه على النصوص الأخرى من القرآن والسُّنَّة، وعلى لغة العرب، ونعتمد فهم سلفنا الصالح؛ فلا نأتي بفهم يخالف فهم الصحابة، وأئمة القرون الثلاثة المفضلة.

٢ ـ الإيمان بالخبر بلا تقدم:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١]؛ فلا نزن الخبر من الله بميزان علم الكلام، ولا الفلسفة، ولا الكشف، ولا الرأي؛ وإنما نجعله ميزاناً لا موزوناً، فنعرض عليه الآراء والعلوم والكشف والذوق والرأي؛ فما قبله

الوحي قبلناه، وما رفضه رفضناه، لا العكس؛ كفعل أهل البدع.

مع التنبه للأمرين التاليين:

أ ـ لا يوجد في الخبر ما يخالف العقل السليم، ولا الفطرة المستقيمة؛ فالخبر من الله، والله أمرنا بتدبره، ولا يأمرنا الله بتدبر ما يخالف العقل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

لكن قد يوجد في الخبر عن الله ما يحار فيه العقل لا ما يحيله ـ أي: يقول عنه: مستحيل ـ؛ والسبب في ذلك: لأننا لم نر ذات الله، ولأن الله ليس له مثيل فيقاس عليه، ولأنه لم يرد الخبر الموضح لكيفية صفاته؛ فوجب الإيمان بالخبر، وفهم المعنى على ما يليق بالله، وقطع الطمع عن إدراك الكيفية.

كإيماننا بنعيم الجنة، نفهم المعنى، مع معرفتنا بأن الكيفية مختلفة عن كيفية نعيم الدنيا، وهذا مخلوق مع مخلوق، فكيف بالخالق مع المخلوق، المباينة من باب أولى.

ب ـ الخبر قد اشتمل على المسائل العقدية مع دلائلها العقلية فيما يحتاج إلى دليل؛ فليس الخبر مجرد أدلة سمعية، كما يتوهم ذلك بعض أهل البدع؛ بل اشتمل على أدلة عقلية أيضاً، فلا يحتاج إلى أدلة من صنع علماء الكلام، ولا علماء الفلسفة؛ فأدلة القرآن تصل بالعبد للطمأنينة وللحق، دون محذورات ولا تطويل عسر؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

٣ ـ الإيمان بلا إلحاد:

فنعظم الخبر، ونعلم أن ظاهره على ما يليق بالله؛ فلا نفهمه على غير هذا، ولا نظن أن معناه الصحيح هو التمثيل، فنستطيل عليه بسبب الظنون الفاسدة فنقوم بتحريفه، فنأوله لمعاني باطلة لا تليق بالله، أو نقوم بتعطيله عما دل عليه من المعاني الصحيحة، فيلزمنا وصف الله بنقيض تلك الصفات اللائقة

به من صفات الجمادات أو المعدومات أو الممتنعات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فنجتنب الإلحاد في الخبر الوارد عن أسماء الله وصفاته؛ النواحي التالية:

١ ـ **التحريف له**: سواء في اللفظ أو المعنى.

٢ ـ **التكييف**: فلا نطلب معرفة كيفية صفات الله.

٣ ـ **التمثيل**: فلا نقيد صفات الله بمماثل من مخلوقاته.

٤ ـ **التعطيل**: فلا ننكر الثابت من الصفات، ولا ما دلت عليه من المعاني اللائقة بالله تعالى.

ثانياً: الواجب علينا في توحيد الألوهية:

١ ـ الامتثال لما طلبه الله منا فعلاً أو تركاً بلا اعتراض:

لما كان توحيد الألوهية من باب الطلب الدائر بين الأمر والنهي والإباحة؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

ولما كان الذي طلب منا ذلك فعلاً أو تركاً هو الله؛ فلا يسعنا إلا الامتثال، دون اعتراض بقدر أو عادة أو رأي أو سياسة أو نحو ذلك.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

٢ ـ الامتثال بدون شرك:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]؛ فالواجب علينا في توحيد الألوهية: الامتثال بالبراءة من عبادة كل المعبودات، والتوجه بالعبادة لله وحده لا شريك له، حبّاً وخوفاً ورجاء، وفق ما جاء به النبي ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فعلاً أو تركاً، في جميع مناحي الحياة.

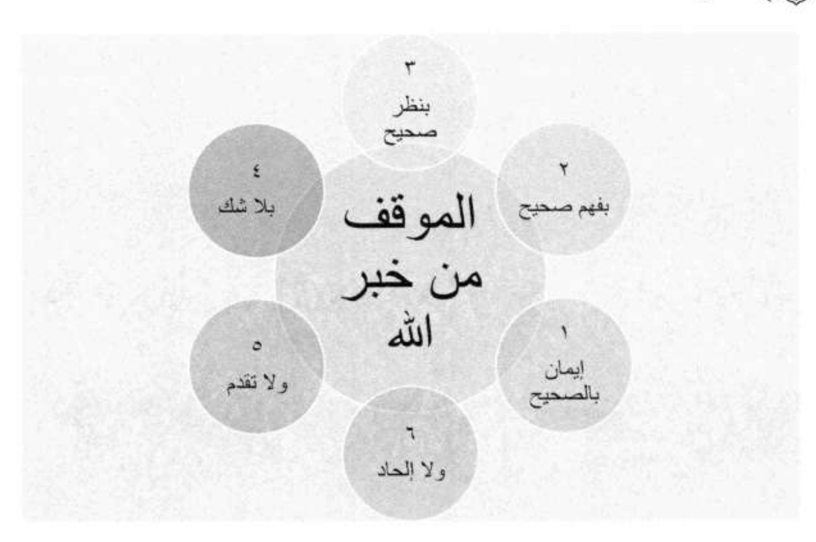
٣ ـ الامتثال بلا ابتداع:

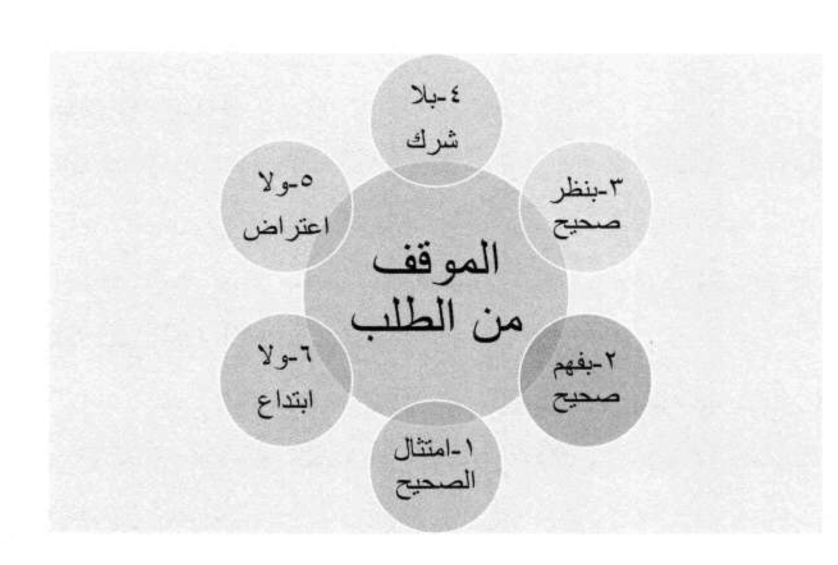
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن عَائِشَة رضي الله عنها؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

فالواجب علينا: الامتثال للطلب المحدد دون أن نغير فيه شيئاً؛ فلا نغير مكانه أو زمانه أو عدده أو كيفيته أو جنسه أو مقداره، وكذلك نبتعد في امتثاله عن الافراط أو التفريط.

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ [هود: ١١٢].




الموقف من الطلب
١-امتثال الصحيح
٢-بفهم صحيح
٣-بنظر صحيح
٤-بلا شرك
٥-ولا اعتراض
٦-ولا ابتداع

المبحث الثاني

توحيد الربوبية

المطلب الأول

تعريف توحيد الربوبية

أ ـ تعريف الرب لغة:

كلمة الرب في اللغة؛ لها حالتان:

الأولى: حال خلوها من أل التعريف، وذكرها مقيدة ومضافة؛ ففي هذه الحال، تطلق على الله تعالى، مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وتطلق على المخلوق، مثل: رب الدار، والفرس، والغلام؛ أي: مالك وصاحب وسيد ومربي ومصلح.

الثانية: حال التعريف بأل، والإطلاق بدون تقييد أو إضافة؛ ففي هذه الحالة لا تطلق إلا على الله، فهو الرب؛ أي: لخلقه؛ فيكون معناها: الخالق، والمالك، والمصلح لأحوال خلقه[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والرب هو الذي يربي عبده؛ فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله، من العبادة وغيرها»[2].

وقال أيضاً: «فإن الرب ـ سبحانه ـ هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل»[3].

ويقول المقريزي رَحِمَهُ اللهُ: «الرب ﷻ هو الخالق الموجد لعباده، القائم

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٣٣٦ ـ ٣٣٧)؛ والنهاية في غريب الحديث (٢/١٧٩)؛ ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/٣٨١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/٢٢).

(٣) المصدر السابق (١/٩٢).

بتربيتهم وإصلاحهم؛ من خَلقٍ ورزقٍ وعافية، وإصلاح دين ودنيا»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الرب هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه؛ بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم»[2].

ب ـ تعريف توحيد الربوبية:

هو اعتقاد انفراد الله بربوبيته للمخلوقات فلا رب لها سواه؛ فهو اعتقاد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والأمر. ويدخل في الأمر: الأمر الكوني والأمر الشرعي.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ؛ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ»[3].

ويقول الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «توحيد الربوبية: بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب؛ المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه ـ وهم الأنبياء وأتباعهم ـ بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة؛ وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح، المثمرة لسعادة الدارين»[4].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان بربوبيته: أي: بأنه وحده

---

(١) تجريد التوحيد (ص٣٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٩٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/ ٢٥١).

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٩).

الرب لا شريك له ولا معين، والرب: من له الخلق، والملك، والأمر؛ فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، . . . وأمر الرب ـ سبحانه ـ شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسبما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته؛ فمن اتخذ مع الله مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات؛ فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان»(١).

ج ـ أصول توحيد الربوبية:

يقوم توحيد الربوبية على أصلين عظيمين: **الأول**: عموم خلقه وربوبيته، **والثاني**: عموم إحسانه وحكمته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: ٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فنعتقد: أن الله رب العالمين، وأنه رب السموات والأرضين وما بينهما، ورب العرش العظيم، وهو خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، وهو رب كل شيء ومليكه، وهو مالك الملك؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع

(١) شرح أصول الإيمان، لابن عثيمين (ص١٧ ـ ١٨).

الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، قلوب العباد ونواصيهم بيده وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمٰن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي أضحك وأبكى، وأغنى وأقنى، وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها، ويبث فيها من كل دابة، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه.

ونعتقد: أنه قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، والخير كله بيديه، وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها؛ إلى نحو هذه المعاني التي تقتضي شمول حكمته وإتقانه وإحسانه خلق كل شيء، وسعة رحمته وعظمتها.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فهذان الأصلان عموم خلقه، عموم إحسانه وحكمته: أصلان عظيمان وإن كان من الناس من يكفر ببعض الأول؛ كالقدرية الذين يخرجون أفعال العباد عن خلقه، ويضيفونها إلى محض فعل ذي الاختيار، أو الطبيعة الذين يقطعون إضافة الفعل إلى الله سبحانه، ويضيفونه إما إلى الطبع أو إلى جسم فيه طبع، أو إلى فلك، أو إلى نفس، أو غير ذلك مما هو من مخلوقاته العاجزة عن إقامة نفسها؛ فهي عن إقامة غيرها أعجز.

ومن الناس من يجحد بعض الثاني، أو يعرض عنه؛ متوهماً خلو شيء من مخلوقاته عن إحسان خلقه وإتقانه وعن حكمته، ويظن قصور رحمته، وعجزها؛ من القدرية الإبليسية أو المجوسية وغيرهم»[1].

د ـ أنواع ربوبية الله لخلقه:

١ ـ **ربوبية عامة**: تتضمن الخلق والملك والتدبير؛ وهي لجميع المخلوقات.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٤٠٠).

٢ ـ ربوبية خاصة: يضاف للتربية العامة: التوفيق للخير، والإعانة عليه؛ وتكون للمؤمنين خاصة.

يقول الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تربيته الله تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة؛ فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمٰن، للسعدي (ص٩٤٥).

المطلب الثاني

أدلة توحيد الربوبية

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فتوحيد الربوبية: إفراد الله بالخلق والأمر:

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ١ ـ ٣].

فتوحيد الربوبية: اعتقاد انفراد الله بجلب المنافع ودفع المضار:

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٣ ـ ٦].

فتوحيد الربوبية: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، والإحياء والإماتة، والبعث والنشور والحساب:

٤ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

فتوحيد الربوبية: اعتقاد انفراد الله بالرزق والملك والتدبير:

دليل التمانع من أدلة توحيد الربوبية:

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا مِثْلَ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالْآخَرُ إِمَاتَتَهُ: فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، أَوْ لَا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

وَالْأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ خُلُوُّ الْجِسْمِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَيَسْتَلْزِمُ أَيْضاً عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهاً.

وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الْإِلَهَ الْقَادِرَ، وَالْآخَرُ عَاجِزاً لَا يَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ»(١).

ويقول أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقاً فَاعِلاً، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٢٩).

ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمُلْكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ.

فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامُ أَمْرِهِ، مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ.

فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ، مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ اثْنَيْنِ. فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُوَافِقَةٌ لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْفِطَرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، دَالَّةٌ مُثْبِتَةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ»[1].

فدليل التمانع دليل عقلي على انفراد الله بخلق الكون وملكه وتدبيره؛ فإنه يمتنع عقلاً أن يكون له شريك في ذلك، بدلالة انتظام الكون؛ فلو كان معه شريك لانفرد بما خلق، ولفسد الكون، أو لحصل التغالب بينهما على التدبير؛ فإما أن لا تنفذ إرادتهما فيفسد العالم، أو أن تنفذ إرادتهما معاً؛ وهذا مستحيل لتضادهما.

فلمَّا كان أمر العالم منتظماً؛ فهذا يدل على نفاذ إرادة واحدٍ أحد، وهو الله ﷻ؛ فاستحق العبودية له وحده لا شريك له.

---

(١) المصدر السابق (١/٣٨).

المطلب الثالث

مكانة توحيد الربوبية

١ ـ توحيد الربوبية ركن من أركان التوحيد، لا يتم توحيد الإنسان إلا به:

فمن أشرك في توحيد الربوبية فقد فسد توحيده.

٢ ـ توحيد الربوبية فطري في النفوس:

فقد خلق الله الناس، وجعل الإقرار بوجوده ووحدانيته في أصل خلقتهم.

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهَا مَفْطُورَةً عَلَى الْإِقْرَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا قَالَتِ الرُّسُلُ فِيمَا حَكَى اللهُ عَنْهُمْ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]»[(١)].

٣ ـ توحيد الربوبية وسيلة وليس غاية:

فهو وسيلة لبلوغ الغاية، والغاية: إفراد الله بالعبادة:

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الْمُشْرِكِين مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٢٧).

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]. وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ. بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ مِنَ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ، تَارَةً يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللهِ، وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح: ٢٣].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ[1]، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ بِعَيْنِهَا صَارَتْ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، ذَكَرَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قَبِيلَةً قَبِيلَةً»[2].

فالغاية توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية وسيلة لتقريره:

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ. فَيَجْعَلُ الْأَوَّلَ دَلِيلاً عَلَى الثَّانِي، إِذْ كَانُوا يَسَلِّمُونَ في الْأَوَّلِ، وَيُنَازِعُونَ فِي الثَّانِي، فَيُبَيِّنُ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ وحده، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي الْعِبَادَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلِمَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَتَجْعَلُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى؟

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٦٠)، (ح٤٩٢٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٣٠،١٢٩).

يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ الآيَاتِ [النمل: ٥٩ ـ ٦٤].

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي آخِرِ كُلِّ آيَةٍ: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أَيْ: أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ فَعَلَ هَذَا؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، يَتَضَمَّنُ نَفْيَ ذَلِكَ. وَهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ»[1].

٤ ـ توحيد الربوبية متضمن في توحيد الألوهية؛ لا العكس:

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «وَتَوْحِيدُ الإِلَهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْعَكْسِ؛ فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ يَكُونُ عَاجِزاً، وَالْعَاجِزُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]، وقال تَعَالَى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]، وَفِيهَا لِلْمُتَأَخِّرِينَ **قَوْلَانِ**:

أَحَدُهُمَا: لَاتَّخَذُوا سَبِيلاً إِلَى مُغَالَبَتِهِ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ؛ كَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ: لَاتَّخَذُوا سَبِيلاً بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩]، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ﴾.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/١٣٦، ١٣٧).

وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ، بَلْ جعَلُوا مَعَهُ آلِهَةً اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ، وَقَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، بِخِلَافِ الْآيَةِ الْأُولَى»(١).

٥ ـ المشركون كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم ذلك الإقرار:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

احتج الله على الناس بعلمهم بأن الله هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير؛ على وجوب إخلاص العبادة له؛ فدل هذا على أن توحيد الربوبية حجة لا غاية، ولا يكفي وحده في التوحيد، وفي النجاة من الشرك، وفي الفوز بالجنة والنجاة من النار.

وقد ذكر الله في آيات كثيرة إقرار المشركين بالربوبية في الجملة، ومع هذا كانوا مشركين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦١ ـ ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٤٠، ١٤١).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾ [الروم: ٤٠].

• إن توحيد الربوبية وحده لا ينجي من النار ولا يدخل الجنة، بل التوحيد المنجي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ بحيث يقر بأن الله سبحانه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن محمداً ﷺ رسوله؛ فيعبد الله بما جاء به رسول الله ﷺ.

• فتوحيد الربوبية لم ينازع في أصله أحد من بني آدم، وإنما نازعوا في بعض تفاصيله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «الكفار المشركون مقرون أن الله خالق السمٰوات والأرض، وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكاً مساوياً له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط؛ لا من المجوس الثنوية، ولا من أهل التثليث، ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة، ولا من عباد الأنبياء والصالحين، ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم؛ فإن جميع هؤلاء ـ وإن كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك ـ فهم مقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله؛ ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته؛ بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شفعاء أو شركاء؛ أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب بعض الكائنات دونه، مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخلق»[1].

٦ ـ معنى «لا إلٰه إلا الله» هو معنى توحيد الألوهية، لا معنى توحيد الربوبية:

فليس معنى «لا إلٰه إلا الله»: لا خالق إلا الله؛ بل معناها: لا معبود

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/٥١).

يستحق العبادة إلا الله ـ والمتضمن كونه ﷻ: المتفرد بالخلق والملك والتدبير ـ؛ بدلالة اللغة والعقل والشرع.

ـ ففي اللغة:

أ ـ إلٰه على وزن فعال بمعنى مفعول؛ أي: مألوه، معبود، تألهه القلوب؛ أي: تتعلق به لما عنده من جلب المنافع ودفع المضار، ولنعمه العظيمة، ولأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ب ـ لا يوجد عالم من علماء اللغة يقول: إلٰه بمعنى آله؛ أي: **فاعل**، بل علماء اللغة يقولون: بمعنى مألوه، مثل: كتاب بمعنى مكتوب، وحساب بمعنى محسوب، وفراش بمعنى مفروش.

قال ابن فارس: («أله» الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد، فـ«الإلٰه» الله ـ تعالى ـ، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود، ويقال: تألّه الرجُل إذا تعبّد)[1].

وقال الجوهري: («أله»: أله بالفتح إلاهة؛ أي: عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس ﷺ: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، قال: وعبادتك. ومنه قولنا: «الله» وأصله إلاه على فِعَال، بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه؛ أي: معبود، كقولنا: إمام فِعَال بمعنى مفعول؛ لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام)[2].

فمعنى الإلٰه في اللغة: هو المألوه؛ أي: الذي تألهه القلوب؛ أي: تحبه محبة عظيمة.

ـ وفي العقل: لو سلمنا جدلاً بأنه إلٰه فعال بمعنى فاعل؛ أي: آله؛ فإننا بذلك جعلنا المعبود عابداً للناس، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ـ وفي الشرع: نصوص القرآن والسُّنَّة كلها تدل على أن معنى «لا إلٰه إلا الله» هو: لا معبود بحق إلا الله، **ومنها:**

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٢٧).

(٢) الصحاح، للجوهري (٧/ ٧٢).

١ ـ **الآيات الواردة في دعوة الأنبياء لأقوامهم؛ فجميعهم دعوا أقوامهم** إلى «لا إله إلا الله» بمعنى: لا معبود بحق إلا الله، وأقوامهم فهموا منهم ذلك، وعلى سبيل المثال:

أ ـ نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وجه الدلالة:

١ ـ «لا إله إلا الله» في الآية: ما لكم من إله غيره، وتفسيرها: الكلمة التي سبقتها: اعبدوا الله.

فيكون المعنى: اعبدوا الله وحده لأنه ما لكم من معبود يستحق العبادة إلا هو؛ وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

هنا في هذه الآية تفسير صريح لمعنى ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ في الآية الأولى، وهو: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ فهذا دليل صريح على أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

ب ـ هود عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]:

وجه الدلالة:

١ ـ لا إله إلا الله في الآية هي قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وتفسيرها: الكلمة التي سبقتها: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ فيكون المعنى: اعبدوا الله وحده لأنه ما لكم من معبود يستحق العبادة إلا هو، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

٢ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ ما فهمه قوم هود من

لا إلٰه إلا الله: ترك عبادة جميع المعبودات التي كان يعبدها آباؤهم وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فهذا دليل صريح على أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

ج ـ محمد ﷺ:

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وجه الدلالة: فسّر المراد بـ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بعبادته وحده لا شريك له، فهذا هو معنى: لا إلٰه إلا الله.

يقول ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا إنسان مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: فمن كان يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»[1].

٢ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وجه الدلالة: الكلمة السواء هي: «لا إلٰه إلا الله»، وفسّرت: بالعبودية الخالصة لله.

يقول السعدي: «قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: هلموا نجتمع عليها، وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال، ثم فسَّرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (١٢/٤٣٩).

بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبيّاً ولا ملكاً ولا وليّاً ولا صنماً ولا وثناً ولا حيواناً ولا جماداً، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية»[1].

٣ ـ قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وجه الدلالة: العروة الوثقى هي: «لا إله إلا الله»، وفسِّرت: بالإيمان بالله، والكفر بما سواه.

يقول ابن جرير: «فتأويل الكلام إذاً: فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به؛ ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يقول: ويصدق بالله أنه إلـٰهه وربه ومعبوده، دون غيره ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يقول: فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه»[2].

ـ ومن السُّنَّة والسيرة النبوية:

ـ عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: ـ هُوَ ـ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١٣٣).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٤/٥٦٠).

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآيَةَ[١].

وجه الدلالة: أن كفار قريش فهموا معنى «لا إلٰه إلا الله» بأنه ترك عبادة كل ما سوى الله، فقالوا: بأنه ترك ملة عبد المطلب.

فلو كان معنى «لا إلٰه إلا الله»: لا خالق إلا الله؛ لكان موافقاً لملة عبد المطلب، لا مخالفاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[٢].

ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**[٣].

وجه الدلالة: في الجمع بين الحديثين:

ففي الحديث الأول: بيّن ﷺ أنه بُعث للناس حتى يقولوا: «لا إلٰه إلا الله»، وفي الحديث الثاني: بيّن ﷺ أنه بُعث للناس حتى يعبد الله وحده لا شريك له؛ فدل على أن المراد بـ«لا إلٰه إلا الله» هو: عبادة الله وحده لا شريك له؛ فهو المستحق وحده لذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٢/٩٥)، (ح١٣٦٠)؛ وصحيح مسلم (١/٥٤)، (ح٣٩).

(٢) صحيح البخاري (٢/١٠٥)، (ح١٣٩٩)؛ وصحيح مسلم (١/٥١)، (ح٣٢).

(٣) مسند أحمد، ط. الرسالة (٩/١٢٦)، (ح٥١١٥)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/٥٤٥)، (ح٢٨٣١).

المطلب الرابع

أهم خصائص الربوبية

أهم خصائص الرب ﷻ:

١ ـ الغني:

المراد به: أن الله غني بذاته عما سواه، وسواه فقير إليه؛ فهو الأول الذي ليس قبله شيء، فلا يحتاج لمن يخلقه أو يوجده، فلم يسبق بعدم.

غني أزلي لا يلحقه فناء، فهو الآخر الذي ليس بعده شيء، فلا يحتاج من يخلفه؛ لذا فهو سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣].

الدليل عليه: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥].

٢ ـ الخلق:

المراد به: أن الله هو الخالق وما سواه مخلوق؛ فكل الموجودات هي مخلوقاته، ويتضمن ذلك بقية مراتب القدر: من العلم والكتابة والإرادة، فهذه المخلوقات علمها وكتبها وأراد وقوعها؛ سواء كوناً أو شرعاً، وخلقها شيئاً بعد شيء.

الدليل عليه: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ [غافر: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

٣ ـ المُلك:

المراد به: أن كل المخلوقات خاضعة تحت ملكه ـ سبحانه ـ لا يخرج

منها شيء عن سلطانه وقهره، وملك غيره في الدنيا إنما هو بتمليكه؛ فلو شاء لنزعه منه، فهو سبحانه المالك الحقيقي لجميع المخلوقات.

الدليل عليه: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

٤ ـ التدبير:

المراد به: أن الرب ـ سبحانه ـ يدبر جميع مخلوقاته، فجعل لمخلوقاته سُنناً تسير عليها، وجعل للمكلفين شريعة منهاجاً لهم في حياتهم؛ فهو سبحانه يدبر أمور مخلوقاته بقدرة وعلم وحكمة.

الدليل عليه: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].

٥ ـ الاستقلال بالفعل:

المراد به: أن الرب قادر على الفعل بنفسه بدون معين أو شريك، وليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا الله وحده؛ فهو كل ما أراد فعله، واقتضته حكمته فعله، تبارك وتعالى، لا يرده أحد عن مراده.

الدليل عليه: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

٦ ـ **العطاء والمنع:**

المراد بهما: أن الرب ـ سبحانه ـ المعطي المانع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وليس في مخلوقاته من يعطي ويمنع مستقلاً بذاته، بل هو سبب مسخر بقدرة الله وحكمته؛ فالله يجري العطاء والمنع بواسطته.

الدليل عليهما: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

٧ ـ **الخفض والرفع:**

المراد بهما: أن الرب ـ سبحانه ـ يخفض من يشاء بعدله، ويرفع من يشاء بفضله، ولا يستقل أحد سواه بذلك.

الدليل عليهما: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

٨ ـ **العز والذل:**

المراد بهما: أن الرب ـ سبحانه ـ يعز المؤمنين بفضله، ويذل الكافرين بعدله، وهذا من تمام ربوبيته: يعز ويذل، ويكرم ويهين.

الدليل عليهما: قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨][1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٣٩٨ ـ ٤٠١)؛ ومنهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد، للبريكان (ص٤٢٨ ـ ٤٢٩).

المطلب الخامس

مقتضيات توحيد الربوبية

اعتقاد إنفراد الله بربوبيته ـ من الخلق والملك والتدبير ـ يقتضي أموراً عديدة؛ أهمها:

١ ـ توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته:

فهو لم يُسبق بعدم، ولا يلحقه فناء فهو: الأوَّلُ الذي لَيْسَ قَبْلَه شَيْءٌ، وَهو الآخِرُ الذي لَيْسَ بَعْدَه شَيْءٌ، وَهو الظَّاهِرُ الذي لَيْسَ فَوْقَه شَيْءٌ، وَهو البَاطِنُ الذي لَيْسَ دُونَه شَيْءٌ.

فلمَّا كان ـ سبحانه ـ هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير؛ فلا يمكن أن يكون له مثيل من المخلوقات، ولا يمكن أن يكون هو مثل شيء من المخلوقات.

٢ ـ توحيد الله في التوجه والقصد والطلب بشرعه:

فمن أعظم مقتضيات الربوبية: إفراده بالعبودية الخالصة له وفق الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

٣ ـ توحيد الله في قضائه وقدره:

وذلك بأن يعلم أن الله هو المنفرد بتدبير هذا الكون؛ فلا يتحرك شيء

ولا يسكن إلا بإذنه وأمره، فهو الذي قدر الخلائق في الأزل، فعلمها وكتبها وشاء وقوعها وخلقها شيئاً بعد شيء.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

٤ ـ توحيد الله في التشريع:

فليس لأمير ولا وزير، ولا لعالم ولا لعابد أن يكون مشرعاً مع الله؛ فالتحليل والتحريم لا يكون إلا لله[1].

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) انظر المقتضيات: مجموع الفتاوى (٢/٣٩٨ ـ ٤٠١)، ومنهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد؛ للبريكان (٤٢٨ ـ ٤٢٩).

المطلب السادس

نواقض توحيد الربوبية

ينقض توحيد الربوبية أمران:

١ ـ **إنكار مقام الربوبية**؛ المتمثل في جحد الخلق والملك والتدبير.

٢ ـ **الشرك في الربوبية**؛ المتمثل في اعتقاد شريك له ـ سبحانه ـ في الخلق والملك والتدبير.

يقول د. عبد العزيز بن عبد اللطيف: «والشرك في الربوبية هو: أن يجعل لغير الله تعالى معه تدبيراً ما، وله ضروب متعددة: فمنه شرك التعطيل؛ كشرك فرعون، ومن شرك التعطيل: إنكار ربوبية الله تعالى كما وقع فيه شرذمة من الملاحدة قديماً وحديثاً، ومن الشرك في الربوبية: القول بوحدة الوجود؛ وهم الذين يزعمون أن الله تعالى هو عين الخلق، تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً.

ومن هذا الشرك شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة، ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته، ومنه شرك من ادعى أن الكواكب العلوية تدبر أمر العالم السفلي؛ كما هو مذهب مشركي الصابئة. . .»[1].

ومن أبرز الأمثلة على إنكار الربوبية: القول بقِدم العالم، ومعناه: «أن العالم لم يزل موجوداً مع الله تعالى، ومعلولاً له، ومساوقاً له، غير متأخر عنه

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز بن عبد اللطيف (ص٩٧ ـ ٩٨).

بالزمان، مساوقة المعلول للعلة، ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة، لا بالزمان. . . .

ووجه كونه ناقضاً عِدة اعتبارات؛ نذكر منها:

أ ـ تضمن القول بقِدم العالم تعطيلاً للرب ﷻ، وإنكاراً للخالق ﷻ. . . .

ب ـ أن القول بقِدم العالم، وصدور هذا العالم عن الخالق تعالى صدور المعلول عن العلة لهو من أشنع التنقص والشتم لله ﷻ، حيث ادعى أصحاب تلك المقالة تولّد هذا العالم عن الرب ﷻ، فخرقوا له بنين وبنات بغير علم. . . .

ج ـ إن القول بقِدم العالم تكذيب لما اتفقت عليه الرسل ﷺ، ونزلت به الكتب، كما تضمن مخالفة ومصادمة للفطر السليمة والعقول الصريحة. . . .

د ـ إن حدوث العالم مما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل عن صاحب الشرع، ومن ثم يكفر المخالف لذلك. . .»[١].

ويقول د. الحمد: «يضاد توحيد الربوبية: الإلحاد، وإنكار وجود الرب ﷻ، ويضاده ـ أيضاً ـ: اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته؛ كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك. وكما يضاده ـ أيضاً ـ: اعتقاد مُشرع مع الله ﷻ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي»[٢].

وأبرز الأقوام والفِرق التي أشركت في الربوبية[٣]:

١ ـ **المجوس**: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز بن عبد اللطيف (ص٩٨ ـ ١٠٣).

(٢) توحيد الربوبية، للحمد (ص٢١).

(٣) انظر: توحيد الربوبية، للحمد (ص٢٢ ـ ٢٨).

٢ ـ **الثنوية**: «أصحاب الاثنين الأزليّين»: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣ ـ **المانوية**: «أصحاب ماني بن فاتك»: قالوا: إن العَالَم مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

٤ ـ **النصارى**: «القائلون بالتثليث»: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إلٰه واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها...

٥ ـ **القدرية**: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه ﷻ.

٦ ـ **الفلاسفة الدهرية**: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

٧ ـ **عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم**: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨ ـ **غلاة الصوفية**: لغلوهم في الأولياء، وزعمهم أنهم يضرون،

وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيء.

٩ ـ **الروافض**: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم...

١٠ ـ **النصيرية**: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ﷺ وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله ﷻ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويَسَمَّون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمّون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل.

١١ ـ **الدروز**: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافِ لا تليق إلا بالله وحده؛ كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

١٢ ـ **من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء**: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون ـ رجماً بالغيب ـ: إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا ـ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣ ـ **القانونيون**: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم.

فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه.

المطلب السابع

نواقص توحيد الربوبية

١ ـ الحلف بغير الله:

الدليل: عنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١).

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «القسم بغير الله: إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة؛ فهو شرك أكبر، وإلا؛ فهو شرك أصغر»(٢).



---

(١) سنن الترمذي، ت: شاكر (٤/ ١١٠)، (ح١٥٣٥)؛ والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٣٠)، (ح٧٨١٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٦)، (ح٢٩٥٢).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٢١١).

٢ ـ إسناد النعم إلى غير الله.

٣ ـ إسناد النعم إلى الله ومعه غيره بحرف يقتضي التسوية:

الدليل: عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»[1].

يقول السعدي رحمه الله: «الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً كما تقدم، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره كما هو جار على ألسنة كثير من الناس، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك. ولا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً»[2].

ويقول رحمه الله: «الشرك الأصغر: كالشرك في الألفاظ؛ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ، كـ(لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك)، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كـ(لولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل)؛ فكل هذا ينافي التوحيد.

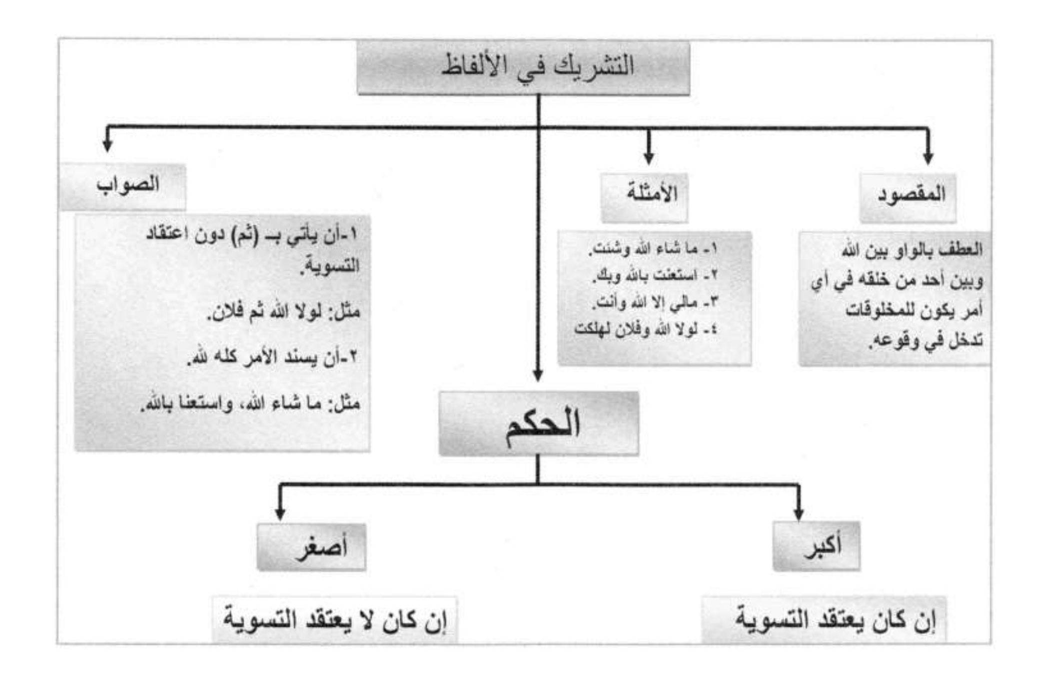
والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداءً، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله ثم كذا؛ ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره، فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله نداً في قلبه وقوله وفعله»[3].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٥)، (ح٤٩٨٠)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٢٣٤)، (ح٧٤٠٦).

(٢) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٤٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٤٩).



٤ ـ عدم الاقتناع بالحلف بالله:

الدليل: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ، فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**»(١). رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه، وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله.

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق، أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات، فهو داخل في الوعيد؛ لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٦٧٩)، (ح٢١٠١)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٢١٣)، (ح٧٢٤٧).

وأما من عُرف منه الفجور والكذب، وحلف على ما تيقن كذبه فيه؛ فإنه لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد؛ لأن حالته متيقنة، والله أعلم»[1].

٥ ـ رد من سأل بالله:

الدليل: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ بِاللهِ؛ فَأَعْطُوهُ، ومَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ؛ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ؛ وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**[2].

٦ ـ السؤل بوجه الله في الأشياء الحقيرة:

الدليل: عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ»**[3].

يقول السعدي رحمه الله: «**الباب الأول**: خطاب للمسؤول ـ باب: لا يرد من سأل بالله ـ؛ وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحق الله، وأداء لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

والباب الثاني: خطاب للسائل ـ باب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ـ؛ وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئاً من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه؛ فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله.

---

(١) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) سنن أبي داود (٢/١٢٨)، (ح١٦٧٢)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٠٤١)، (ح٦٠٢١).

(٣) سنن أبي داود (٢/١٢٧)، (ح١٦٧١)؛ وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/٦٠٥)، (ح١٩٤٤).

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة ـ وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه ـ فإنه لا يسألها بوجهه»[1].

٧ ـ الإقسام على الله:

الدليل: عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**[2].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ»، قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[3].

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «القَسم على الله؛ **ثلاثة أقسام**:

١ ـ أن تقسم على ما أخبر الله أو رسوله ﷺ من نفي أو إثبات؛ وغايته أن يدل على يقينك بما أخبر الله ورسوله ﷺ، مثل: والله ليشفعن محمد ﷺ في الخلق يوم القيامة، والله لا يغفر الله لمن أشرك به. وحكمه جائز.

٢ ـ أن يقسم الإنسان على ربه لقوة الرجاء وحسن الظن به؛ وحكمه جائز، لإقرار النبي ﷺ في قصة الرُّبيع بنت النضر عندما كسرت ثنية جارية من الأنصار، فاحتكموا إلى النبي ﷺ فقضى بالقصاص بكسر ثنية الربيع؛ فعرضوا عليهم الصلح فأبوا إلا القصاص، فقام أنس بن النضر وقال: والله لا تكسر ثنية الربيع، فعفوا؛ فقال النبي ﷺ: **«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»** رواه مسلم.

٣ ـ أن يكون الحامل له الإعجاب بالنفس، وسوء الظن بالله سبحانه؛ مثل قول الرجل في الحديث: **«وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ»**، وحكمه: حرام، ووشيك أن يحبط الله عمل هذا المقسم.

---

(١) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٣)، (ح٢٦٢١).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٥)، (ح٤٩٠١).

فعلى الإنسان أن لا يدلي بعلمه على الله، فلو عمل ما عمل ما أدى شكر الله على نعمه، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن؛ فالأمر إلى الله وحده سبحانه»[1].

٨ ـ الاستشفاع بالله على خلقه:

الدليل: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! نُهِكَتِ ٱلْأَنْفُسُ وَجَاعَ ٱلْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ ٱلْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **«سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!»**؛ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»**[2].

يقول ابن عثيمين رحمه الله: «الاستشفاع بالله على خلقه حرام؛ لأنه يستلزم تنقص الله تعالى، حيث جعلته أدنى مرتبة من خلقه.

وأما الاستشفاع بالخلق على الله فجائز، كما سبق في باب الشفاعة.

إشكال: ورد حديث: «**من سألكم بالله فأعطوه**»، وهنا منع الاستشفاع بالله؟

الجواب: أن السؤال بالله لا يقتضي أن تكون مرتبة المسؤول به أدنى من مرتبة المسؤول، بخلاف الاستشفاع بالله تعالى كما مر»[3].

٩ ـ الاعتراض على القدر باستعمال «لو»:

الدليل: فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ)**

---

(١) الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (ص٧٧ ـ ٧٨).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٢)، (ح٤٧٢٦)؛ وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٥٩٦)، (ح٥٧٢٧).

(٣) الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (ص٧٩).

تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ»[1].

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أوجه استعمالات (لو):

١ ـ الاعتراض على الشرع: وحكمها: حرام، وقد يصل إلى الكفر، قال تعالى: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

٢ ـ الاعتراض على القدر: حكمها: حرام، قال تعالى: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

٣ ـ للتحسر والندم: وهو كثير، وحكمها: محرم؛ لأن كل شيء يفتح الندم عليك فهو منهي عنه، فلا تقل: «**لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا**».

٤ ـ للتمني: وحكمها: على حسب المتمني؛ (لو حصل لي مال تصدقت)، (لو حصل لي مال قامرت).

٥ ـ للخبر المحض ـ المجرد ـ: وحكمها: جائزة، كما قال النبي ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت...**» متفق عليه، وكقولك: (لو زرتني أكرمتك)»[2].

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن استعمال العبد للفظة: «لو» على قسمين: مذموم، ومحمود.

أما المذموم: فكأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا؛ فهذا من عمل الشيطان؛ لأن فيه محذورين: **أحدهما**: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن، الذي ينبغي له إغلاقه وليس فيها نفع، **والثاني**: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره؛ فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

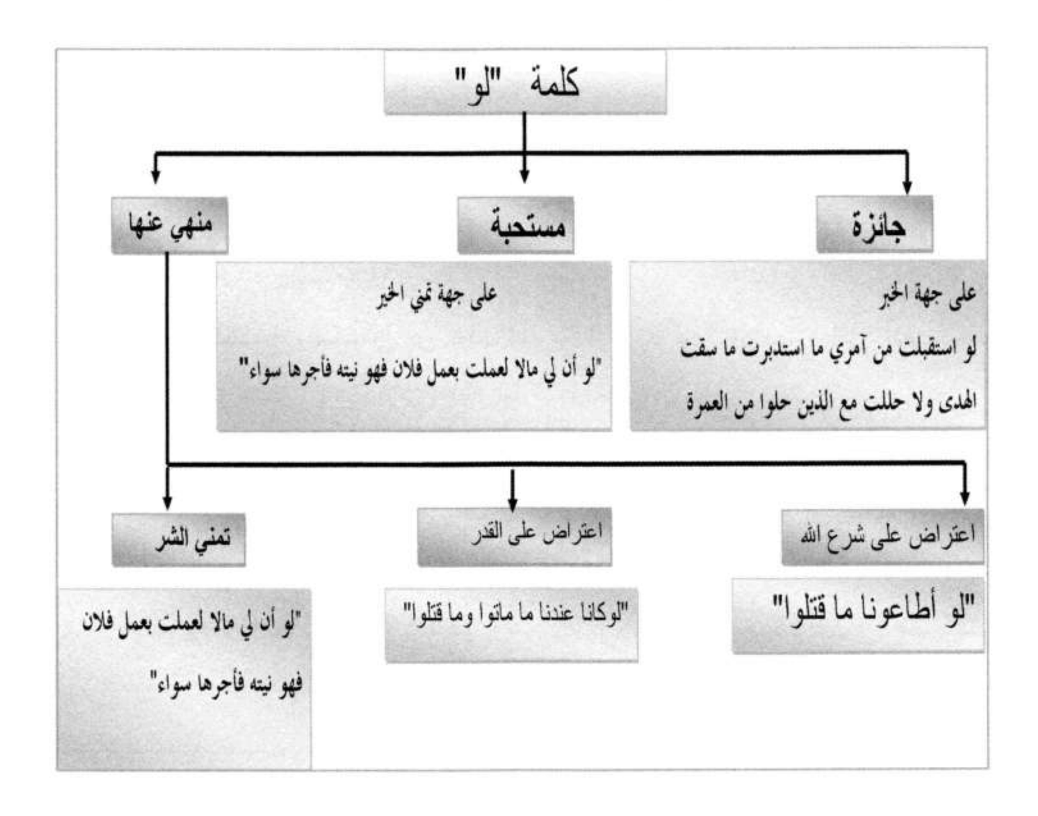
---

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٥٢)، (ح٢٦٦٤).

(٢) الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٦٥).

وأما المحمود من ذلك: فأن يقولها العبد تمنياً للخير، أو تعليماً للعلم والخير؛ كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة**»، وقوله في الرجل المتمني للخير: «**لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان**»، و«**لو صبر أخي موسى ليقص الله علينا من نبأهما**»؛ أي: في قصته مع الخضر.

وكما أن «لو» إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم؛ فاستعمال «لو» تكون بحسب الحال الحامل عليها، إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمني الشر كان مذموماً، وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محموداً، ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين»[1].



(١) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٨١ ـ ١٨٢).

١٠ ـ سب الدهر:

الدليل: في الصَّحِيحين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: **«لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»**[2].

يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا واقع كثيراً في الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر والوقت، وربما لعنوه.

وهذا ناشئ من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء؛ فإنه مدبر مصرف والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره، وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل، فبه تزداد المصائب ويعظم وقعها ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مناف للتوحيد.

أما المؤمن فإنه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته؛ فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته»[3].

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: **«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر»**؛ فيه أن سب الدهر يؤذي الله تبارك وتعالى.

قال الشافعي في تأويله ـ والله أعلم ـ: «إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك.

فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار، ويقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر؛ فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء؛ فيذمون

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٣٣)، (ح٤٨٢٦)؛ صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٢)، (ح٢٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٣)، (ح٢٢٤٦).

(٣) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٥٦).

الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر**»؛ على أنه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الاشياء؛ فإنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الاشياء». انتهى.

قلت: والظاهر أن المشركين **نوعان**:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل؛ فيسبه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.

والثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث؛ فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل لذلك، والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً؛ سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة**:

أحدها: سبه من ليس أهلاً للسب؛ فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، متذلل لتسخيره؛ فسابه أولى بالذم والسب منه.

والثانية: أن سبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان.

وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

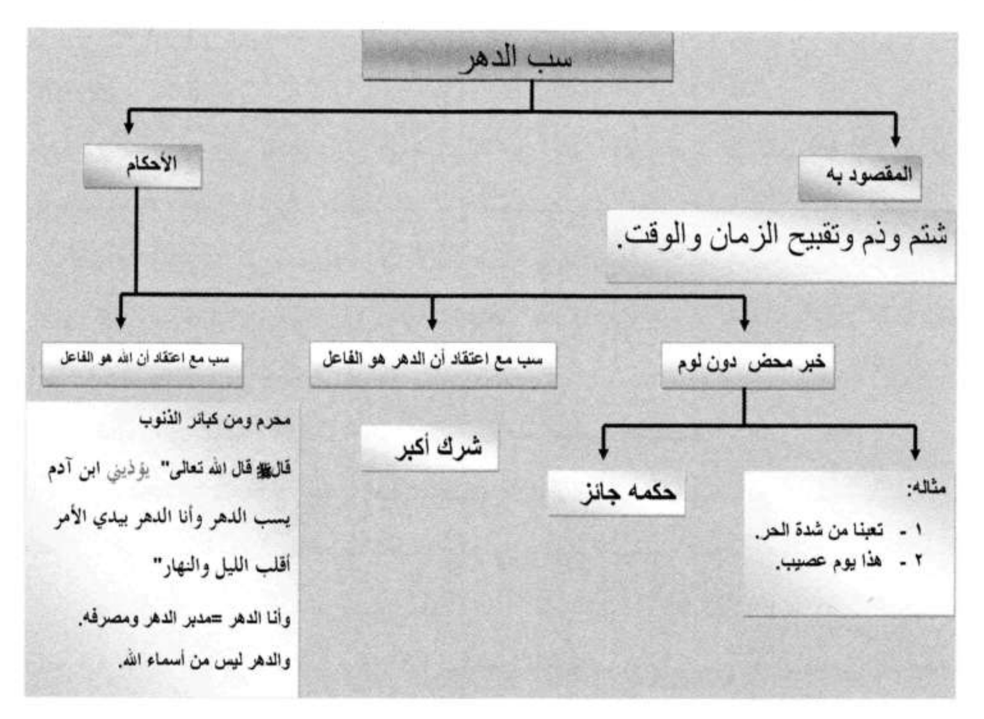
الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والارض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر فرب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء؛ فمسبتهم الدهر مسبة لله ﷻ ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى.

---

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله (ص٥٤٤).

فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما:

إما مسبة الله أو الشرك به؛ فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله؛ فهو يسب الله تعالى»[(١)].



١١ ـ سب الريح:

الدليل: عنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال: **«لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ؛ فَقُولُوا اَللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اَلرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اَلرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»**[(٢)].

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٢/ ٣٥٤).

(٢) سنن الترمذي، ت: شاكر (٤/ ٥٢١)، (ح٢٢٥٢)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٢٢٣)، (ح٧٣١٥).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي؛ فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره، فالساب لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالباً لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم»[1].

---

(١) كتاب التوحيد ومعه القول السديد شرح كتاب التوحيد، للسعدي (ص١٨٣ ـ ١٨٤).

المطلب الثامن

ثمرات توحيد الربوبية

ثمرات قوة توحيد الربوبية في النفس:

١ ـ تذوق حلاوة التمسك بالدين الإسلامي.

٢ ـ شجاعة وقوة في الحياة؛ فالموت بيد الله، والحياة بيد الله، والرزق بيد الله؛ فلم الخوف من المخلوقين، ولم التعلق بهم؛ كما علّم النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: **«يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**[1].

٣ ـ رضا بالمقدور؛ فلا غرور حين تحصيل المطلوب، ولا تسخط ولا جزع حال فواته.

٤ ـ اعتزاز بالشرع، وافتخار به، ولا اعتراض عليه؛ لا بقدر ولا عرف ولا ذوق ولا سياسة ولا هوى ولا رأي.

٥ ـ التعلق القلبي بالله في جلب المنافع ودفع المضار؛ فهو يعلم أن كل شيء بيد الله.

٦ ـ كثرة الدعاء والاستعانة بالله ﷻ.

---

(١) مسند أحمد، ط. الرسالة (٤/٤٠٩)، (ح٢٦٦٩).

يقول إبراهيم البريكان رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ علم الإنسان بأنَّ الله خالقه وموجده ومليكه؛ يعقب في النفس الإنسانية ما يأتي:

أولاً: الخوف من الله؛ المقتضي لمراقبته ـ سبحانه ـ في السر والعلن، الأمر الذي يحيي في النفس ضميرها، الذي هو بمثابة الحارس الأمين عليها، الذي يوقفها عن المحظور، ويدفعها إلى امتثال المأمور.

ثانياً: التوكل على الله؛ المتضمن لتفويض أمر العبد إليه، بحيث يعتمد عليه ـ تعالى ـ في جميع أموره ونواحي حياته، متخذاً الأسباب المشروعة في ذلك. . . .

ثالثاً: الصبر على المصائب التي تصيب العبد؛ لعلمه أنها منه ـ سبحانه ـ. . . .

رابعاً: الثقة بالله؛ فإيمان العبد بأنَّ له ربّاً مالكاً، وخالقاً، ومدبراً؛ يعطيه الثقة بربه، فلا يلجأ إلا إليه، ولا يعتمد على سواه، ولا يتوكل إلا على إيّاه، ولذا فهو يقدم مراضيه على رضا سواه، وأوامره ونواهيه على أوامر غيره ونواهيه، بل إنه ليترك هوى نفسه ويقدم ما أراده الله منه ربه؛ فإن ذلك مقتضى شهوده لربوبيته. . .

خامساً: محبة الله التي تملأ نفس العبد وقلبه، لما يثيره شهود الربوبية من كمال إنعامه على عبده، وعظم منّته عليه، وحاجته وعدم غناه إلا به. . . .

سادساً: الأمن من المكروه، فإن العبد إذا علم أنّ كل شيء هو بيد الله، إذ ذلك مقتضى تدبيره وملكه أمن من كل مكروه، لعلمه أنه لا يجلب الخير إلا هو، ولا يمنع الشر إلا هو؛ فكانت حياته بهذا مستقرة، يحقق الخلافة المنوطة ببني آدم، وهو في أمن وطمأنينة، كيف لا وهو مؤمن بربه، مصدق بربوبيته وإلهيته. . . .

سابعاً: انكسار النفس؛ فإن علم العبد بأنَّ الله مالكه والمتصرف فيه يجعل نفسه منكسرة له، خاضعة لجلاله، معظمة لنفسه ـ تعالى ـ، مظهرة لحاجتها له، وفقرها إليه. . . .

ثامناً: طاعة الكثير من الناس علماءهم ومشايخهم، وأمراءهم وملوكهم؛ فأحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا، اعتقاداً منهم أن ذلك لا علاقة له بالتوحيد، والحق أنَّ من لوازم التوحيد في الربوبية تقديم طاعة الله ورسوله على ما سواهما. . . .

تاسعاً: الاستغناء بالله عما سواه من الخلق، فلا يسأل إلا الله؛ لعلمه أنه الذي بيده خزائن كل شيء، وتنقطع علائق النفس عما في أيدي الناس؛ فلا يستشرف إليه، فيتواطأ القلب واللسان على ذلك، وأما من تعلق قلبه بغير الله المالك لنواصي العباد؛ فإنه يطلب سؤاله ممن لا يملك ولا ينفع. . .»[1].

(١) منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد، للبريكان (ص٥٠٣ ـ ٥٠٧).

المبحث الثالث

قضية الإلحاد والموقف من الملاحدة

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الإلحاد، وأنواعه، وأقسام الملاحدة في العصر الحاضر.
- المطلب الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا.
- المطلب الثالث: مراحل نشأة الإلحاد في أوروبا.
- المطلب الرابع: أسباب نشر الإلحاد في العالم الإسلامي ووسائله.
- المطلب الخامس: أسباب تسلل الإلحاد للعالم الإسلامي ومرتكزاته.
- المطلب السادس: آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع.
- المطلب السابع: دور العلم الحديث في الرد على الملاحدة.
- المطلب الثامن: موقف المسلم من قضية الإلحاد ومن الملاحدة.

المطلب الأول

تعريف الإلحاد، وأنواعه وأقسام الملاحدة في العصر الحاضر

المسألة الأولى: تعريف الإلحاد لغة واصطلاحاً

١ ـ **الإلحاد لغة**: الميل والعدول والانحراف عن أصل الشيء، ومنه سمي اللحد لحداً؛ لأنه ميل عن أصل الحفرة.

يقول ابن فارس: «اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة؛ يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث، يقال: لحدت الميت وألحدت. والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه»[١].

فالإلحاد في اللغة يطلق على الانحراف سواء في الأمور الحسية كالانحراف عن أصل الحفرة، أو الأمور المعنوية كالانحراف عن الحق.

٢ ـ **الإلحاد اصطلاحاً**: هو الميل والعدول والانحراف عن الحق الذي يجب اعتقاده أو عمله.

فهو على قسمين:

أ ـ إلحاد عقدي، بأن ينحرف عن اعتقاد الحق الثابت في الكتاب والسُّنَّة

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٢٣٦).

في الله سواء في أسمائه أو صفاته إلى الباطل من التمثيل والتعطيل والتحريف أو التكييف. كفعل الجهمية والممثلة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أو ينحرف عن اعتقاد الحق الثابت في النصوص في الملائكة أو الكتب أو الرسل أو اليوم الآخر أو القدر؛ فيعتقد المقالات الباطلة، كفعل الفلاسفة المنتسبين للإسلام، ونحوهم.

ب ـ **وإلحاد عملي**؛ بأن يعصي أوامر الله، بالقيام بضدها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

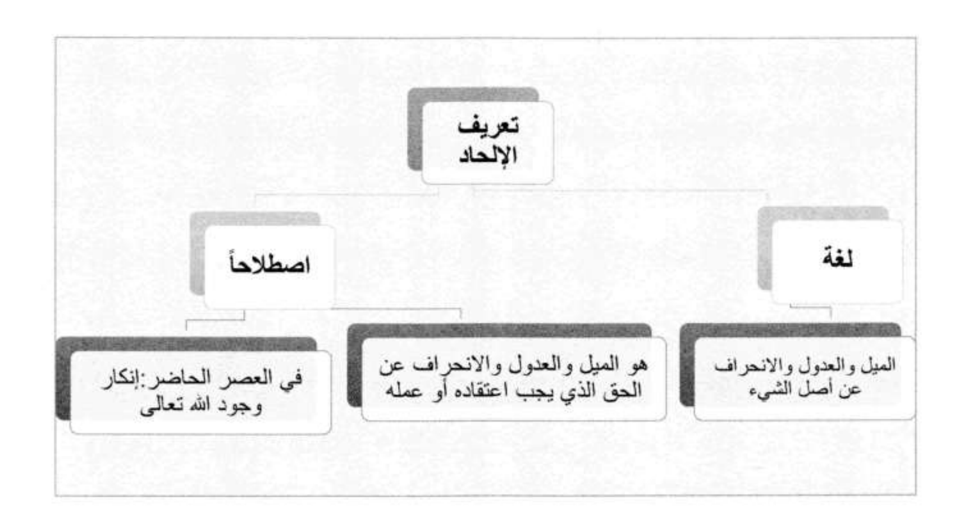
أو يقوم بتحريفها لتدل على خلاف ما أراد الله، ليعدل عن فعل الواجب للمعصية، كفعل الفرق الباطنية من ملاحدة الصوفية والرافضة والإسماعيلية والنصيرية والدروز.

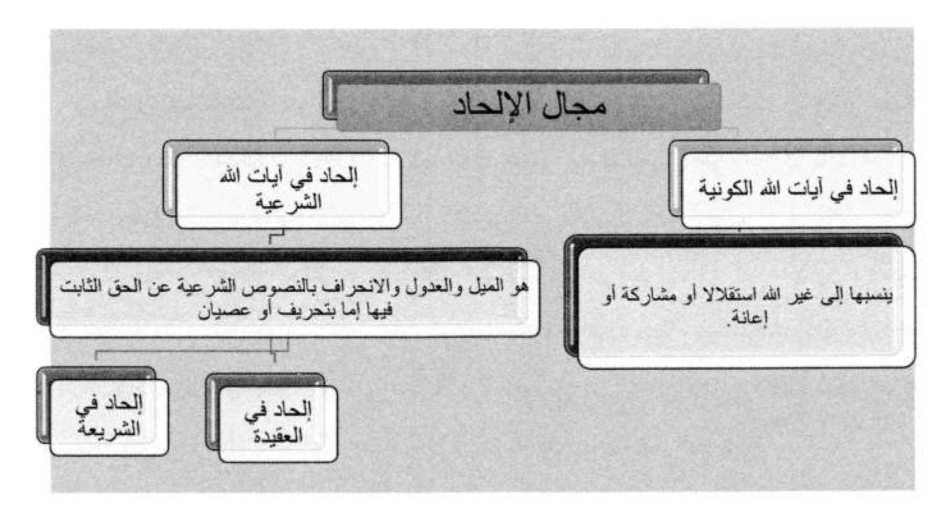
والإلحاد الاصطلاحي هو في آيات الله سواء كانت الكونية، أو الشرعية، فله مجالان:

١ ـ إلحاد في آيات الله الكونية: وهي ما خلقه الله، ويخلقه في السمٰوات والأرض، بأن ينسبها إلى غير الله استقلالاً أو مشاركة أو إعانة.

٢ ـ إلحاد في آيات الله الشرعية: وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام والأخبار، فيميل وينحرف بالنصوص الشرعية عن الحق الثابت فيها إما بتحريف وتكذيب لأخبارها أو عصيان لأحكامها[١].

(١) انظر: المصدر السابق (٢٢).





٣ ـ المراد بالإلحاد في العصر الحاضر:

أما في العصر الحاضر فإنه إذا أطلق الإلحاد فيُراد به: إنكار وجود الله تعالى[(١)].

يقول د. عبد الرحمٰن حبنكة الميداني: «يراد من الإلحاد هنا المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهو إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته.

(١) انظر: التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف (ص٥٧ ـ ٦٠).

واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمّتها عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة.

وربما كان يطلق على هذا النوع من الكفر كلمة (زندقة) وصاحبها (زنديق) ويجمع على زنادقة»[1].

ويقول د. محمد قطب: «الإلحاد ـ بمعنى إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق أو أن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت ـ بدعة جديدة في الضلالة فيما أحسب»[2].

ويقول د. غالب عواجي: «المراد بالإلحاد: ... كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون ﷻ، سواء كان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين، بمعنى: أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل؛ نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة دون تحديد وقت لها، واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وجد وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وجد عن طريق التطور لا أن هناك قوة إلٰهية تدبره وتتصرف فيه»[3].

ويقول د. محمود مزروعة: «الإلحاد في مصطلح المذاهب الفلسفية المعاصرة؛ يعني: إنكار وجود الله ـ سبحانه ـ والإيمان بأن الوجود كله مادي، وأن الطبيعة المادية هي الخالقة وهي المخلوقة، وإنكار كل ما ليس بمادة، فليس هناك غيب ولا وحي ولا دين، وليس في الوجود كله إلا المادة، والمادة فقط»[4].

---

(١) كواشف زيوف، لعبد الرحمٰن حبنكة الميداني (ص٤٠٩).

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب (ص٦٠٥).

(٣) المذاهب الفكرية المعاصرة، لغالب عواجي (١٠٠٣/٢).

(٤) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمود محمد مزروعة (ص٢٦٤).

من خلال ما سبق من تعريفات يمكن القول بأن مفهوم الإلحاد في عصرنا الحاضر يتضمن **الأمور التالية**:

١ ـ إنكار وجود الله، أو إنكار تدبيره العالم.

٢ ـ القول بأن التطور الذاتي والعشوائي لمادة الكون الأزلية ـ عندهم ـ هو التفسير لجميع الظواهر الكونية أو البشرية.

٣ ـ إنكار كل ما هو وراء المادة من إله، أو نبوة، أو دين.

يقول صاحب المعجم الفلسفي ـ جميل صليبا ـ: «ربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله؛ لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله، أو تخالف معتقداً دينيّاً معيناً، أو رأياً جماعيّاً مقرراً. فالفلاسفة الماديون ملاحدة؛ لأنهم قالوا: إن للمادة وجوداً مطلقاً، وأنها علة الحركة والحياة والفكر.

والدهريون ملاحدة؛ لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع، وأنه بما فيه مبني على الاتفاق.

ولكن إذا قال الفيلسوف: إن الأجسام لا تحشر، أو قال: إن الله لا يعلم الجزئيات، كان كافراً بأصل من أصول الدين لا ملحداً. وكذلك إذا قال بوحدة الوجود، فإن هذا القول لا يستلزم إنكار وجود الله، ولا يجعل صاحبه ملحداً»[1].

ويقول د. عمرو شريف: «ويتبنى الفكر الإلحادي المعاصر المفاهيم التالية:

١ ـ نشأ الكون تلقائيّاً، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع.

٢ ـ ظهرت الحياة ذاتيّاً من المادة؛ عن طريق قوانين الطبيعة.

٣ ـ الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائي بحت؛ سيتوصل إليه العلم يوماً ما.

(١) المعجم الفلسفي (١/ ١٢٠).

٤ ـ ما الإنسان إلا جسد مادي، يفنى تماماً بالموت.

٥ ـ ليس هناك وجود لمفهوم الروح.

٦ ـ ليس هناك حياة أخرى بعد الموت.

٧ ـ من كل ما سبق؛ ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله»[١].

ومن المهم التنبه إلى أن الملاحدة يستخدمون أحياناً مصطلحات يريدون بها ما يريدون بالإلحاد؛ فيستخدمون: التطور والحضارة والعلمانية؛ ويريدون بها إنكار وجود الله، وإنكار الأديان والغيبيات؛ لأن هذه الأفكار المتحضرة والمتطورة والعلمية لا تقبل إلا بالمحسوس الممكن فحصه وتجربته عملياً[٢].

المسألة الثانية: أقسام الملاحدة في العصر الحاضر

(١) يمكن تقسيم الملاحدة في العصر الحاضر إلى قسمين:

١ ـ **ملاحدة** يزعمون أن لديهم نظريات تثبت عدم وجود الله. ويسميهم البعض: أصحاب الإلحاد القوي، أو الإيجابي، أو الصلب.

وهؤلاء قلة جداً، ويسير أتباعه في **اتجاهين:**

ـ فلسفي: قائم على مناقشات فلسفية.

ـ وعلمي: قائم على مناقشات فيزيائية ونحوها.

٢ ـ **ملاحدة يزعمون** بأن الأدلة لا تكفي في إثبات وجود الله. ويسميهم البعض: أصحب الإلحاد الضعيف، أو السلبي، أو اللا أدري.

وهؤلاء أغلب الملاحدة، وهم شكاك، وأصحاب هوى وشهوات، وبعضهم أصحاب ردود أفعال لحالات نفسية سيئة مروا بها، وبعضهم إلحاده إلحاداً سياسيّاً، فهو متخصص في نشر الإلحاد ـ في واقع الأمر ـ ضد الإسلام، وفي بلد معين، واتجاه محدد، مثل بعض الملاحدة متخصص في محاربة الإسلام في السعودية، والمنهج السلفي على وجه التحديد.

---

(١) رحلة عقل، لعمرو شريف (ص٢١).

(٢) الإلحاد، وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، لصالح إسحاق (١٨ ـ ٢٤).

يقول د. عمرو شريف: «ينقسم الفكر الإلحادي إلى مجموعتين كبيرتين:

أ ـ الفكر الإلحادي القوي (Strong (Positive) Atheism)؛ ويمثله الذين ينكرون وجود الإله، ويسوقون على ذلك الأدلة، ويبنون النظريات، ويروجون لفكرهم.

ب ـ الفكر الإلحادي الضعيف (Weak (Negative) Atheism)؛ ويمثله الذين لم يجدوا أدلة كافية تقنعهم بوجود الإله»[1].

يقول د. عبد الله العجيري: «المواقف العقدية الممكنة من مبدأ وجود الله تعالى والوحي والنبوة؛ أربع مواقف عقدية رئيسية، وهي مرتبة من أشدها تنكراً لهذه المبادئ إلى المؤمنين بها:

ـ الإلحاد الصلب، أو الإلحاد الإيجابي (Atheism): وهو الإلحاد الذي يؤمن صاحبه بعدم وجود الخالق، وبالتالي يتنكر للوحي والنبوات، ولا يتدين بدين. . . .

ـ الإلحاد السلبي، أو اللاأدري (Agnosticism): وهو الإلحاد الذي لا يؤمن صاحبه بوجود الخالق، لكنه أيضاً لا يؤمن بعدم وجوده، بل يقول: ليس عندي دليل يدل على وجوده؛ فلست مؤمناً بوجوده، ولا عندي دليل أيضاً يدل على عدمه؛ فلست مؤمناً بعدمه، بل متوقف في شأنه؛ لا أثبت ولا أنفي. . . .

ـ الربوبية (Deism): وهو موقف عقدي يؤمن صاحبه بوجود خالق لهذا الكون، لكنه ينكر صلة هذا الخالق بهذا الكون عبر الوحي والرسالة، فالخالق في هذا المنظور العقدي خلق العالم ثم تركه، فلم يكلف الخلق إيماناً ولا تديناً، ولا هو بالذي يسمع دعوات الداعين ويستجيب لهم، ولا يتدخل في شؤون هذا الكون بالمعجزات والخوارق، ولا أرسل رسلاً ولا أوحى بشرائع، والتعرف على هذا الخالق إنما يتم عن طريق التأمل في الكون، والاستدلال العقلي عليه، دون أخبار الأنبياء والرسل والمعرفة المتحصلة عن طريق الوحي.

---

(١) رحلة عقل؛ لعمرو شريف (٢٠ ـ ٢١).

ـ المؤمن المتدين (Theism): وهو الموقف العقدي الذي يؤمن صاحبه بوجود خالق لهذا الكون، كما يؤمن بالوحي والنبوات، وأن الخالق سبحانه عرّف نفسه لخلقه عن طريق الأنبياء والرسل. وأن الخلق مأمورون من خالقهم بالإيمان والتدين، وأنه سبحانه يسمع لمن دعاه، ويثيب على العمل الصالح، ويعاقب على الأعمال الطالحة»[1].

٢ ـ وهناك تقسيم للملاحدة في العصر الحاضر من جهة الدوافع؛ فتم تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ ملاحدة عاطفيون؛ دافعهم استشكالات تتعلق بالقدر.

ب ـ ملاحدة نفعيون؛ دافعهم اللذات بغير قيود.

ج ـ ملاحدة عقليون؛ دافعهم ـ فيما يزعمون ـ النظريات الفلسفية والعلمية[2].

٣ ـ وهناك تقسيم للملاحدة من ناحية المدارس المستمدة أفكارها من الإلحاد؛ فتقسم المدارس الإلحادية إلى ستة مدارس، هي:

أ ـ العلمانية. فملاحدة بنوا إلحادهم على مبادىء العلمانية، بإقامة الحياة على غير أساس الدين، فلا يهمهم البتة وجود إلـٰه أصلاً.

ب ـ الوجودية. وهؤلاء الملاحدة يرفضون وجود إلـٰه يفرض عليهم تشريعات وقيم، ويكون رقيباً على أفعالهم.

ج ـ الوضعية. وهؤلاء ملاحدة لا يؤمنون بغير التجربة في الواقع، وكل ما وراء الحس، وما هو غيب غير نافع عندهم ولا صحيح، ومن ذلك الإلـٰه والغيبيات.

د ـ الشيوعية. فهؤلاء ملاحدة لا يؤمنون إلا بالمادة إلـٰه لهم، ولا إلـٰه سواها.

هـ ـ الداروينية. وهؤلاء ملاحدة بنوا إلحادهم على نظرية التطور لدارون، فالطبيعة هي الإلـٰه، ولا إلـٰه سواها.

---

(١) ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص١٩ ـ ٢٠).

(٢) انظر: الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٢١ ـ ٢٢).

و ـ عبدة الشيطان. وهؤلاء ملاحدة بنوا إلحادهم على اللذة والشهوة الشاذة، وكفروا بالإلـٰه والفضيلة، وآمنوا بالشيطان والرذيلة.

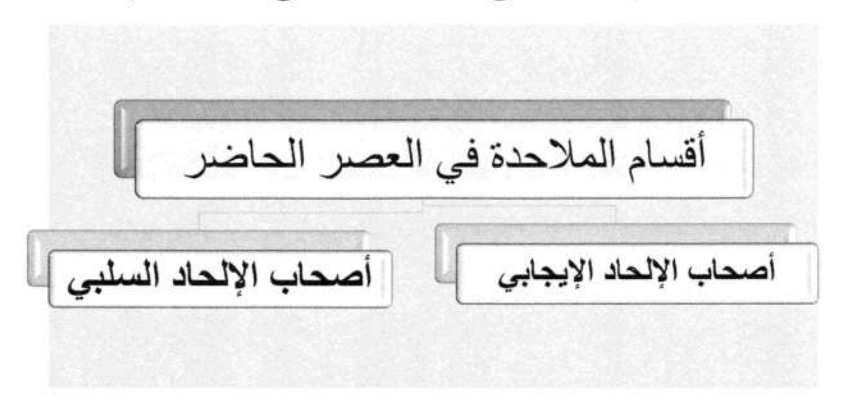
يقول د. صالح سندي: «نشأت مدارس تستلهم من الإلحاد مادتها: فمنها: «العلمانية»؛ التي تعني: بناء المجتمع على أسس مادية لا علاقة للدين بها.

ومنها: «الوجودية» التي نادى بها «سارتر» وغيره، وهي التي تدعو إلى إبراز قيمة الفرد وحريته، وقدرته على أن يفعل ما يريد.

ومنها: «الوضعية» التي نادى بها «أوغست كونت» وأترابه، وهي فلسفة تنكر أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

ومنها: «الشيوعية» التي أسسها «كارل ماركس» وهي التي تقرر نظرية التطور والارتقاء.

ولا أنسى أن أشير هنا إلى مدرسة عبثية إلحادية انتشرت في العالم، ووصلت إلى عقر دار المسلمين، وهي مدرسة: «عبدة الشيطان»، وهي حركة إلحادية في فلسفتها، وثنية في طقوسها، يهودية في دعمها، تنكر الرب جلَّ وعلا، وترفض الأديان، وليس لها هدف في الحياة إلا التمرد واللذة ـ بل اللذة الشاذة ـ والكلام عنها يحتاج إلى تفصيل أوسع نظراً لعظيم ضررها»[1].



(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٢٠ ـ ٢١).

التعريف	مراجعة المصطلحات
الميل والعدول والانحراف عن طريق الحق والإيمان والاستقامة.	الإلحاد لغة
الميل عن الحق الذي يجب اعتقاده أو عمله.	الإلحاد اصطلاحاً
الميل بالنصوص الشرعية عن الحق الثابت فيها إما بتحريف أو عصيان.	الإلحاد في آيات الله الشرعية
نسبة خلق الكون وتدبيره لغير الله.	الإلحاد في آيات الله الكونية
إنكار وجود الله.	الإلحاد في العصر الحاضر
يزعم صاحبه أن لديه أدلة تثبت عدم وجود الله.	الإلحاد الإيجابي
يزعم صاحبه أن الأدلة لا تثبت وجود الله.	الإلحاد السلبي
يقر صاحبه بوجود خالق، لكنه يزعم بأنه لا صلة له بخلقه بعد أن خلقه، أو فني بعد أن خلق.	الإلحاد الربوبي

المطلب الثاني

أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا

تمهيد:

لو أردنا أن نبحث عن الأسباب التي تجعل بعض الناس ينكر أن يكون لغرفة صغيرة بانٍ بناها، فلن نجد سبباً سوى الجنون.

فإذا تبيَّن لنا أنه ليس بمجنون؛ بل هو عاقل ومتعلم في الوقت ذاته، فلا بد أن تكون له مشكلة أخرى؛ إمَّا مع الباني، أو مع القضايا التي يترتب عليها اعترافه بالباني.

وكل ما يذكره من حجج على أن الغرفة قد بنت نفسها بنفسها؛ فهو كلام مضحك، أو هو يصف كيف تم بناء الغرفة وصفاً دقيقاً، ثم يقول: لا يهمني من قام بهذا العمل.

فهو لا يريد الاعتراف بالباني ولا يريد الالتزام بما يترتب عليه من النظام الذي وضعه باني الغرفة لمن يريد الدخول فيها.

وهكذا من يزعم أن هذا الكون قد وجد بدون خالق قادر عليم حكيم حي سميع بصير؛ فهو مجنون بدون شك، فإذا تبيَّن لنا سلامته من الجنون المعروف فيكون البحث حول الأسباب التي دفعته للقول بهذه المقالة الجنونية، لا من ناحية نقدها من الناحية العلمية؛ وإنما من ناحية دوافعه الحقيقية التي دفعته لكراهية الخالق ونظامه الشرعي لعباده الذين يسكنون أرضه.

وأما ما يقوله من حقائق علمية وغيرها، فما صح منها فإنما هو وصف للكيفية وليس فيها أي دلالة على عدم وجود خالق للكون، ويكون نقاشنا لما

يذكره إنما هو من باب كشف مغالطاته لمن قد يتأثر بها، وإلا فالبحث يكون عن أسباب كراهيته للخالق ولشرعه.

وعند النظر في أقوال الملاحدة المعاصرين في الغرب؛ نجدهم فعلاً كرهوا إلٰه الكنيسة، ودين الكنيسة، ورجال الكنيسة، وهذه مشكلتهم الحقيقية، ووجدنا من يساعد في زيادة هذه الكراهية، ولم نجد من يعرفهم بالإلٰه الحق، والدين الصواب، ويظهر لهم الصورة الناصعة له ولعلمائه الربانيين.

فأبرز أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا خمسة:

أولاً: الديانة النصرانية المنفرة في عقيدتها وشريعتها.

ثانياً: طغيان رجال الكنيسة المبغض في رجال الدين.

ثالثاً: حدوث الصراع بين الدين الكنسي والكشوف العلمية.

رابعاً: دور اليهود في نشر الإلحاد.

خامساً: غياب الأمة الإسلامية عن بيان الدين الحق.

أولاً: الديانة النصرانية المنفرة في عقيدتها وشريعتها:

كانت أوروبا تعتنق ديناً فاسداً، فارتداد الغرب عنه أمر مقبول، ولكن من غير المقبول أن يرتدوا للإلحاد، وإنما الواجب عليهم أن يعتنقوا الدين الحق، وهو الإسلام.

فالنصرانية تشتمل على:

أ ـ عقيدة غير مقبولة عقلاً وفطرة؛ مثل:

١ ـ القول بألوهية المسيح. فكيف ببشر خرج من بطن امرأة يصير خالقاً للكون.

٢ ـ القول بأن المسيح «ابن الله». فكيف بإلٰه له ولد، فلا بد له من زوجة، فهو مثل البشر.

٣ ـ عقيدة التثليث. فكيف بثلاثة آلهة مختلفون في الصفات والوظائف يكونون إلٰهاً واحداً في الوقت ذاته.

٤ ـ الصلب والفداء. فكيف بهذا الخالق يصلب ولده الوحيد على خطيئة لم يرتكبها.

٥ ـ عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة. فكيف يرث الأبناء خطيئة لم يرتكبوها، وقد تاب منها والدهم، وصلب الابن عليها، فهذه العقائد لا يقبلها المتعلم الذي يستخدم عقله، ومن ثم ارتدوا عنها. فرفضوا هذا الإلٰه الذي هذه صفاته، يطرد الإنسان من حديقته لأكله من شجرة المعرفة، كما تزعم الكنيسة.

ب ـ وتشتمل على شريعة مليئة بالأسرار، وغير مقنعة، ولا محققة لصلاح الدنيا والبدن:

ـ ففيها الأسرار المقدسة؛ مثل:

١ ـ سِر التعميد. أي: التطهير بالماء على يد الكاهن للدخول في النصرانية، وقد يصحبها التعري من الكبير سواء ذكراً أم أنثى أمام الكاهن، وجعل التعميد بدلاً عن الختان.

٢ ـ وسر العشاء الرباني. فتأكل خبزاً وتشرب خمراً، فيخالط بدنك لحم المسيح ودمه، فهذا منفر للعقلاء.

٣ ـ وسر الاعتراف. أن تذكر عيوبك وخطاياك لبشر مثلك، فيها فضح الإنسان لنفسه، وقد ستره الله.

٤ ـ وسر الزيت المقدس. وهذا يكون للكبار من الذكور والإناث مع التعري، والمسح بالزيت في العورات، أمر مقزز ومنفر.

٥ ـ وسر الصلاة الأخيرة للمحتضر وأمثالها. فيبدأ بالمعمودية وينتهي بما يشبهها، فلا يعبد ربه إلا بواسطة من بداية حياته إلى نهايتها، وهذا الرب خرج من بطن امرأة.

ـ وفيها: عبادة الصور والتماثيل.

ـ وفيها نظام الرهبانية:

١ ـ العزوبة.

٢ ـ التجرد الكامل عن الدنيا.

٣ ـ العبادة المتواصلة.

٤ ـ التعذيب الجنوني للنفس.

فهذه الأمور التشريعية منفرة للعقلاء، لما فيها من الممارسات المهينة، ولما فيها من عدم الاهتمام بعمارة الدنيا، وتحريم الطيبات، وإفقاد الإنسان سعادته في الدنيا، فكانت من أسباب الإلحاد.

يقول د. سفر الحوالي: «أوروبا لم تعتقد الإيمان الصحيح والدين الحق، بل تقلبت من جاهلية إلى جاهلية.

أ ـ فمن عبادة الأوثان والآلهة المتعددة عند اليونان والرومان في عصرها القديم.

ب ـ إلى النصرانية المحرفة في عصورها الوسطى.

ج ـ إلى الضياع والإلحاد والجاهلية المعاصرة.

وعليه؛ فالدين الذي ألحدت عنه أوروبا ليس هو دين الله، وإنما هو النصرانية التي وضعها بولس ومن بعده، وهي دين مملوء بالخرافات التي لا يقبلها العقل السليم والفطرة القويمة، وأعظم هذه الخرافات ما يتصل بالله تعالى كالتثليث وألوهية المسيح مع اعتقاد ولادته وصلبه، وكذلك خرافة الخطيئة والخلاص والأسرار المقدسة، هذا عدا ما حوته الأناجيل من تناقض وأخطاء علمية وتاريخية واضحة.

ومع ذلك؛ فقد كان مفروضاً على النصراني أن يؤمن بهذه الخرافات بلا اعتراض ولا تفكير، حيث إن شعار النصرانية الدائم (آمن أولاً ثم فكر ثانياً) هذا في العقيدة.

وفي العبادة: نجد أن النصرانية فرضت على أوروبا وغيرها (الرهبانية) وهي سلوك منافٍ للفطرة البشرية، فالخروج من هذا الدين ـ في حد ذاته ـ أمر

يوجبه التفكير السليم بلا ريب، ولكن القضية هي أن البديل ليس الإلحاد، وإنما هو الإيمان بالدين الصحيح؛ الإسلام»[1].

وفي عصرنا الحاضر، صرح كل من أنتوني فلو ـ الملحد الذي رجع عن إلحاده ـ، بأن سبب إلحاده وجود أخطاء وأباطيل في الكتاب المقدس، وكذلك ذكر الملحد ليو مايكل بيهي ـ ابن البيولوجي الشهير الناقد للداروينية ـ أن سبب إلحاده هو تفنيد الملحد الشهير ريتشارد دوكنز للكتاب المقدس في كتابه وهم الإلٰه[2].

وكذلك صرح كثير من الملاحدة مثل: برتراند راسل، وريتشارد دوكنز، وسام هاريس، وتوماس ناجل بأن سبب إلحادهم: هو صورة الإلٰه الموجودة في الكتاب المقدس بأنه جزء من الكون، فلا فرق بينه وبين مخلوقاته[3].

وصرحوا كذلك بأن من أسباب إلحادهم دين الكنيسة المطلوب منهم العمل به؛ يقول ستيفن واينبرغ بأنه يتبنى نظرية الكون الثابت الأزلي؛ لأنها أكثر جاذبية، وأبعد عمّا نادت به الأديان.

وذكر عالم النفس المعاصر، بول فيتز، الذي ألحد ثم رجع عن إلحاده، بأن سبب إلحاده هو نفوره من التدين وأعبائه، وأن هذا السبب ليس خاصّاً بالشباب، بل حتى الملاحدة الكبار من أمثال: فوليتر، وفرويد، وسارتر[4].

---

(١) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، لسفر الحوالي (ص١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) انظر: مقالة لماذا يلحد علماء الطبيعيات الغربيون؛ د. محمد باسل الطائي، نقلاً عن نقد العقل الملحد د. خالد كبير علال (٣٧٢).

(٣) انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، (٢٥٥) في الهامش.

(٤) انظر: نقد العقل المحلد (٣٧٩، ٣٨٣).

الديانة النصرانية المنفرة

عقيدة غير مقبولة عقلاً وفطرة	شريعة غير كافية ولا مقنعة ولا محققة لصلاح الدنيا والبدن
١- القول بألوهية المسيح. ٢- القول بأن المسيح "ابن الله". ٣- التثليث. ٤- الصلب والفداء. ٥- عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة.	ما يتعلق بشئون العبادة والطقوس أ- سر التعميد. ب- وسر العشاء الرباني. ج- وسر الاعتراف. د- وسر الزيت المقدس. ه- وسر الصلاة الأخيرة للمحتضر. وفيها:- عبادة الصور والتماثيل نظام الرهبانية

ثانياً: طغيان رجال الكنيسة المبغض في رجال الدين:

لقد طغى كثير من رجال الكنيسة ـ رجال الدين عند النصارى ـ في مجالات شتى:

منها؛ التعبدية، بأن جعلوا عبادة الناس لله لا بد أن تكون عن طريقهم، ومنها: العلمية، بأن جعلوا فلسفتهم عن الكون والإنسان والحياة ديناً يجب اعتقاده، ومنها: المالية؛ بأن جعلوا لأنفسهم حقوقاً خاصة في أموال الناس، وغير ذلك من المجالات؛ وأخبروا الناس أن الله هو الذي أمرهم بهذا، فكان هذا الطغيان من رجال الكنيسة، مع الدين الفاسد المقدم لهم، من أعظم أسباب نفور الناس في أوروبا من الدين إلى الإلحاد.

ومع قوة هذا السبب، والسبب السابق، إلا إنه لا يبرر للإنسان أن يلحد وينكر وجود الله، بل الواجب عليه أن يعرف أن هؤلاء على خطأ، وهذا الدين فيه الفساد، فيبحث عن الدين الحق، ولا ينكر وجود الله.

يقول محمد قطب رحمه الله عن طغيان رجال الكنيسة، وكيف أدى إلى الإلحاد:

«١ ـ فرضت الوساطة بينهم وبين الله؛ فلا يملك الإنسان أن يتصل بربه إلا عن طريق الكاهن.. ولا تقبل منه التوبة والاستغفار من ذنوبه إلا بالجلوس أمام الكاهن على «كرسي الاعتراف» وإعلان الكاهن له بقبول توبته.

٢ ـ وفرضت عليهم أفكاراً معينة عن شكل الأرض وعمر الإنسان على سطح الأرض، تخالف ما وصلت إليه حقائق العلم الثابتة، وقالت لهم: إن هذه أفكار مقدسة؛ لأنها منزلة من عند الله، ومن خالفها فهو كافر ملحد.

٣ ـ وفرضت عليهم العشور؛ أي: أن يقدموا عشر مالهم هبة خالصة للكنيسة؛ لا لله ولا للمساكين، إنما ليعيش بها رجال الدين في بذخ لا يحلم به الأباطرة في عصر من العصور.

٤ ـ وفرضت عليهم السخرة؛ أي: أن يعلموا في فلاحة الأرض المملوكة للكنيسة يوماً واحداً من كل أسبوع؛ سخرة بغير أجر.

٥ ـ وفرضت عليهم الخضوع المذل لرجال الدين؛ فيتعين على الناس أن ينحنوا عند مرور الكاهن بهم حتى تلتصق جباههم بالأرض، ولو كانت الأرض مملوءة بالوحل والطين.

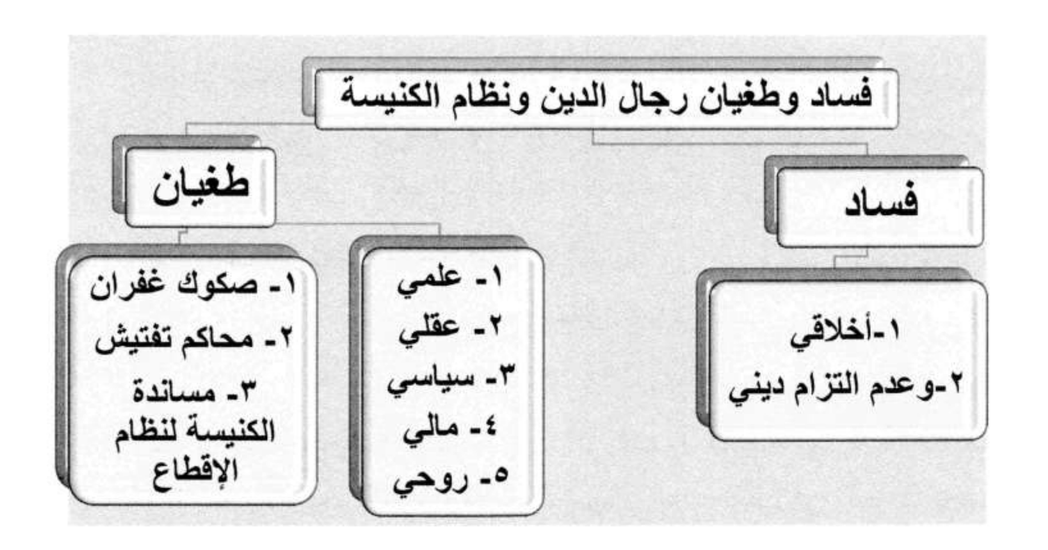
وأضيف إلى ذلك كله أنه حين قامت الجماهير في أوروبا في العصور الحديثة تطالب بحقوقها المسلوبة، وتطلب رفع الظلم الواقع عليها من رجال الإقطاع، وقفت الكنيسة إلى جانب الظالمين من رجال الإقطاع وهددت الجماهير المستعبدة بغضب الله عليها إن ثارت على ظلم الأسياد!»[(١)].

ويقول د. سفر الحوالي: «فقد جعلوا أنفسهم أرباباً للنصارى يشرعون لهم ما يشاءون ويفرضون عليهم الضرائب، ويتحكمون في عقولهم وإيمانهم بتوسطهم بينهم وبين الله، وفرض الاعتراف أمامهم بالخطايا وطلب المغفرة بواسطتهم، وغير ذلك مما يزخر به التاريخ الأوروبي»[(٢)].

---

(١) ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، لسفر الحوالي (ص١٢٧).



ثالثاً: حدوث الصراع بين الدين الكنسي والكشوف العلمية:

لقد ظن بعض أصحاب العلم التجريبي في التفسير الديني الكنيسي لظواهر الطبيعية **أمرين**:

الأول: أن خرافات الكنسية هي وحي من الله، فإذا بطلت بطل الوحي، وبطل الإيمان بالله.

الثاني: أن التفسير الديني عموماً لظواهر الطبيعة قائم على التدخل المباشر من الله لها، فإذا عرفوا القانون الذي يُسيِّر تلك الظاهرة، قالوا بأن الطبيعة تحكم نفسها بنفسها، وأنكروا وجود الله، وقد ظهر هذا السبب بجلاء عند كل من: برتراند راسل، وأنتوني فلو ـ قبل رجوعه عن الإلحاد ـ، وهو كينج، وغيرهم[١].

يقول د. سفر الحوالي: «ما كان العلم يوماً من الأيام عدواً للدين ولكن الحق عدو للخرافة، ومنذ أن اتجهت أوروبا للكشف والبحث العلمي، كانت معركة كبرى بين علماء الفلك والطبيعة، وبين رجال الكنيسة الذين تصدوا لهم بالحرب الشعواء، **لأمرين**:

(١) انظر: نقد العقل الملحد (٣٧٢).

أ ـ أن المنهج العلمي منقول عن المسلمين.

ب ـ أنه يصادم ما أدخلوه في الكتب المقدسة، من معلومات باطلة عن الكون والتاريخ.

وهكذا تعرض رواد الكشوف العلمية للاضطهاد الذي وصل إلى إحراق بعضهم بالنار.

وكلما تقدم الزمن ثبتت صحة الحقائق العلمية، وبطلان الخرافات الكنيسية، ولكن بعض أنصار العلم اشتطوا فهاجموا الدين كله من حيث هو دين، ولم يعتنقوا ـ أو يحترموا ـ دين الله الخالد الكامل (الإسلام)، وهكذا أوهموا الناس أن كل حقيقة تكتشف إنما هي نصر جديد للإلحاد على الدين»[1].

وقد ذكر «د. جعفر شيخ إدريس» جملة من الأمور تحت هذا السبب منها:

١ ـ التناقض الشديد بين كثير من دعاوى الدين الذي ورثوه، والعلم التجريبي الذي اكتشفوه.

٢ ـ تناقض بين منهج العلم التجريبي القائم على الدليل الحسي أو العقلي، ومنهج دينهم التسليمي.

٣ ـ خوض كثير من علماء الدين وغيرهم من المثقفين المتدينين في المسائل الغيبية، والحديث عنها بمجرد الرأي الذي لا سند له من كتابهم، ولا دليل عليه من غيره.

٤ ـ تعصب بعض العلماء الطبيعيين المتدينين تعصباً يجعلهم يحاولون ليّ أعناق الحقائق العلمية؛ لتوافق الدعاوى الدينية.

٥ ـ توهمهم أن الإيمان بوجود الخالق مرتبط بتصورات معينة للدنيا كانت شائعة عند الناس في أوروبا، وأن العلم أثبت عدم صحة تلك

---

(١) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، لسفر الحوالي (ص١٢٧ ـ ١٢٨).

التصورات، فأزال بذلك الأساس الذي كان يقوم عليه ذلك الإيمان، هذا مع أنه لا علاقة ضرورية بين الإيمان وبين تلك التصورات.

٦ ـ توهمهم وجود تناقض بين فكرة الخلق وفكرة الأسباب؛ أي: أنه لكي يكون الشيء مخلوقاً لله فلا ينبغي أن تكون لحدوثه أسباب طبيعية، فإذا اكتشفنا أسباب حدوثه الطبيعية كان هذا دليلاً على أنه لم يحدث بقدرة الخالق[١].

رابعاً: دور اليهود في نشر الإلحاد:

تبنى الإعلام اليهودي الترويج لنظرية التطور على أنها حقيقة قطعية يقينية، وأنها هي العلم الذي لا يقبل الخلاف. وفي العصر الحاضر قام بالدعاية الكبيرة للفيزيائي ستيفن هوكينج، الزاعم بأن العلم يتعارض مع الدين، مما يدل على بطلان الدين، وبالتالي ـ عنده ـ عدم وجود إلـه[٢].

يقول د. سفر الحوالي: «العداوة بين اليهود والنصارى مزمنة، وكانت الكنيسة أيام سيطرتها تضطهد اليهود، بسبب فسادهم وإفسادهم، فلما كانت المعركة على الكنيسة، وجدها اليهود فرصة للانتقام منها، فوقفوا مع خصومها الملحدين، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: يخطط اليهود لإقامة ما يسمونه (مملكة داود) على أنقاض الأديان والحكومات العالمية، ولهذا كان ضرورياً في خطتهم إفساد الأميين (غير اليهود) وإبعادهم عن الدين والأخلاق، ونشر الانحلال والإلحاد بينهم.

ولهذا كان أغلب زعماء المذاهب الإلحادية الهدامة يهوداً، كما أن اليهود يستخدمون المال والدعاية لنشر الإلحاد والفساد في العالم أجمع»[٣].

خامساً: غياب الأمة الإسلامية عن بيان الدين الإسلامي:

لما كانت الديانة النصرانية فاسدة عقيدة وشريعة، وكان رجال الكنيسة

---

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، لجعفر شيخ إدريس (ص٢٢ ـ ٢٥).

(٢) انظر: نقد العقل الملحد (٣٧٥).

(٣) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، لسفر الحوالي (ص١٢٨).

يمارسون مع الناس ألواناً من الطغيان، وحدث الصراع بين الدين الكنسي والكشوفات العلمية رفض كثير من العقلاء الدين النصراني، ولكنهم لم يجدوا الإسلام، أو حيل بينهم وبين المعرفة الصحيحة له، فتوجهوا للإلحاد.

يقول د. جعفر شيخ إدريس: «ومما زاد من حدة البغضاء للدين وتحول الناس إلى العلمانية والإلحاد:

أن رأوا الأمة التي حباها الله بالهداية إلى الدين الحق الذي ليس فيه شيء من تلك المآخذ التي أخذها الغربيون على الدين الذي عرفوه ـ واقعة في معظمها تحت تأثيرهم.

ورأوها ـ حتى بعد أن يسر الله لها الخلاص من الاستعمار ـ تنهج في معظم دولها نهج مستعمريها في سياستها واقتصادها وكثير من تصوراتها، ورأوها أمة ضعيفة ومتخلفة عنهم في العلوم والتكنولوجيا.

ولم يروها قادرة على أن تتحداهم بفكرها أو تريهم الفرق بين دينهم ودينها، ففتنهم ـ إلا من رحم الله منهم ـ هذا الحال الغالب على هذه الأمة عن النظر في دينها وتقديره حق قدره.

فتخلُّفنا ليس تقصيراً في حق أنفسنا فحسب، وإنما هو فتنة للأمم المتطورة مادياً، يغريها بالتمادي في كفرها وإلحادها. إنه ظلم للإنسانية يفوِّت عليها فرصة الاهتداء والسعادة الدنيوية والأخروية»[1].

ويقول محمد قطب: «هذه اللمحة من تاريخ أوروبا تعيننا على تفهم الجو الحالي السائد في الغرب، والذي انتشر فيه الإلحاد والفساد الأخلاقي.

لقد نشأ من العوامل الثلاثة سالفة الذكر ـ وهي موقف الكنيسة، ودور اليهود في الإفساد، وتخلي المسلمين عن رسالتهم ـ وجود جو معاد للدين في أوروبا، صالح لكل جراثيم الفساد أن تنتشر فيه.

ولعل أخطر هذه الجراثيم جميعاً هو الإلحاد والفساد الأخلاقي...»[2].

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق، لجعفر شيخ إدريس (ص٣٥ ـ ٣٦).

(٢) ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٥١).

المطلب الثالث

مراحل نشأة الإلحاد في أوروبا

• **المرحلة الأولى: مرحلة طغيان الكنيسة العلمي، وانتصارها على الكشوفات العلمية:**

لقد ارتكبت الكنيسة خطأين فادحين في آن واحد:

ـ **أحدهما:** تحريف حقائق الوحي الإلـهي، وخلطها بنظريات البشر.

ـ **والآخر:** القيام بإدخال تلك النظريات ضمن العقيدة النصرانية، والقيام بعقوبة من يقول بضدها.

مثال: نظرية بطليموس: «الأرض مركز الكون، وهي ثابتة، ومسطحة»:

الإدخال العقدي:

١ ـ الأقنوم الثاني (أي: عيسى ﷺ) تجسد فيها.

٢ ـ عليها تم الفداء والخلاص.

٣ ـ فوقها يتناول العشاء الرباني.

٤ ـ التوراة تشهد بهذا.

فعندهم لا يمكن أن تكون الأرض كروية؛ لأنه لا يمكن تصور أناس أقدامهم تعلو رؤوسهم، ونبات ينمو لأسفل.

وعندهم لو كان للأرض وجه آخر لذهب إليه المسيح، وصلب هناك أيضاً؛ من أجل خلاصهم، فلما لم يثبت عندهم هذا؛ فالأرض مسطحة ولا يمكن أن تكون كروية ولها وجهان.

النظريات العلمية الحديثة:

أ ـ كوبرنيق: في كتابه «حركات الأجرام السماوية» توصل إلى:

١ ـ الأرض ليست مركزاً للكون.

٢ ـ الكواكب تدور حول الشمس.

ب ـ برونو: يؤيد ما قاله كوبرنيق

ج ـ جاليلو: يؤيد ما قاله كوبرنيق وبرونو.

موقف الكنيسة:

استدعت «كوبرنيق» للمحاكمة، ولكنه مات قبلها، و«برونو»؛ يحاكم؛ فيُسجن ثم يحرق، و«جاليليو» يحاكم ثم يُسجن ثم يتوب. ففي هذه المرحلة انتصرت الكنيسة على أصحاب الكشوف العلمية[١].

- **المرحلة الثانية: مرحلة تقسيم مجالات المعرفة بين رجال الكنيسة وأصحاب الكشوف العلمية:**

وتوصف هذه المرحلة بأمرين:

١ ـ تقديس العقل واستقلاله بالمعرفة في مجال الطبيعة.

٢ ـ مع بقاء الوحي في مجاله، المتعلق بمصائر النفس في العالم الآخر.

أمثلة:

١ ـ **ديكارت:** وكان يرى أن: ميدان العلم: الطبيعة، وموضوعه: استغلال القوى الطبيعية، وأدواته: الرياضة والتجربة، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر، ويعتمد على الاعتقاد والتسليم؛ فلا مضايقة بين العلم والدين ولا سلطان لأحدهما على الآخر.

٢ ـ **فرانسيس بيكون:** عند «بيكون» يمكن أن تكون أي قضية خاطئة تماماً في نظر العقل، ولكنها صحيحة تماماً لأنها نظر الدين[٢].

---

(١) انظر: العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٤٦ ـ ١٥٢).

(٢) انظر: العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

- **المرحلة الثالثة: مرحلة انتصار أصحاب الكشوف العلمية على رجال الكنيسة:**

فكان أبرز ما في هذه المرحلة: جعل العلم ميزاناً للكتب المقدسة لديهم. والكنيسة: تصادر الكتب، وتؤذي من تمكنت منه، ولكن ينفلت الزمام منها.

أمثلة:

١ ـ **سبينوزا اليهودي**: يخالف «ديكارت» و«بيكون»، ويدعو إلى تطبيق المنهج العقلي على الكتاب المقدس؛ على أساس أنها تراث بشري وليست وحياً إلٰهياً.

٢ ـ **جون لوك**: إخضاع الوحي للعقل عند التعارض[1].

- **المرحلة الرابعة: مرحلة الإلحاد الربوبي:**

خلاصة قولهم: يوجد رب لكن انتهت علاقته بالكون.

مثال: نيوتن:

جاء «نيوتن» بنظرية الجاذبية مؤيدة بقانون رياضي مطرد؛ انبهرت به عقول الفئات المثقفة، واتخذها أعداء الدين سلاحاً قوياً، حتى لقد سميت النظرية بـ«الثورة النيوتونية»، وظنوا أنهم أمكنهم تفسير الكون كله بهذا القانون الخارق.

وقد هاجم رجال الكنيسة «نيوتن» الذي كان مؤمناً بوجود الله، بحجة أن نظريته تفضي إلى إنكار وجود الله، بنفي العناية الإلٰهية من الكون.

نظرية «نيوتن» من أعظم النظريات العلمية أثراً في الحياة الأوروبية:

١ ـ وضعت الفكر المادي الغربي.

٢ ـ ساهمت في نجاح كل من المذهب العقلي والمذهب الطبيعي.

٣ ـ ساهمت في إيجاد مذهب الإيمان بالله مع إنكار الوحي.

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٣ ـ ١٥٥).

٤ ـ ساهمت في إيجاد الإلحاد[1].

- **المرحلة الخامسة: مرحلة تأليه الإنسان:**

هذه المرحلة هي مرحلة: الإنسان هو الإله وهو المعبود.

أمثلة:

١ ـ فولتير:

أ ـ انتقد فولتير العقيدة المسيحية في التثليث، وتجسيم الإله والصور المقدسة.

ب ـ يرى الإيمان بالمسيحية هو: الاعتقاد بأشياء مستحيلة، أو بأشياء تستعصي على الفهم.

ج ـ يرى من الجنون الإيمان بأن: الحية تتكلم، والحمار يتحدث، وحوائط أريحا تتساقط بعد سماعها صوت الأبواق.

د ـ يعتبر الإيمان بالخطيئة الأولى إهانة لله، واتهاماً له بالبربرية والتناقض، فكيف يخلق الأجيال البشرية ويعذبها لأن أباهم الأول قد أكل فاكهة من حديقته.

٢ ـ هولباخ:

إن عقيدة الله المأثورة نسيج من المتناقضات، إن فكرة الله هو الضلالة المشتركة للنوع الإنساني.

في هذه المرحلة تم تأليه العقل؛ فجعلوه:

أ ـ هو الحكم الوحيد، هو كل شيء، وما عداه فوهم وخرافة.

ب ـ الوحي لكونه يخالف العقل؛ فهو أسطورة كاذبة.

ج ـ المعجزات لا تتفق ومألوف العقل؛ فهي خرافات بالية.

د ـ الفداء والصلب والرهبانية... إلخ، كلها أباطيل مضللة وعقائد مرذولة؛ لأنها لا تتسق مع العقل.

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٥ ـ ١٥٨).

وتم تأليه الطبيعة:

فكل صفات الله التي عرفها الناس عن المسيحية نقلها فلاسفة الطبيعة إلى إلٰههم الجديد، مع فارق كبير بين الإلٰهين في نظرهم[1].

● **المرحلة السادسة: مرحلة الديانة الإنسانية:**

هذه المرحلة هي مرحلة: لا بد من دين؛ فوضعوا الديانة الإنسانية.

مثال: أوجست كانت:

١ ـ **الإنسانية:** الوجود الحقيقي الأعظم (وهي تعيش على الأرض، وتسبح في الهواء، وتستظل بالسماء)؛ وهذا الثالوث المقدس.

٢ ـ **العبادة نوعان:** عبادة فردية: وفيها يتوجه الفرد بالعبادة والتقديس لمن لهم فضل عليه؛ كأبيه وأمه وأستاذه؛ تكريماً للإنسانية؛ الموجود الأعظم في أشخاصهم.

عبادة جماعية: وفيها يتوجه الناس جميعاً بالعبادة وبشكل جماهيري جماعي، إلى الأفراد الذين قدموا خدمات للإنسانية كلها، تكريماً للإنسانية التي يمثلونها، كل ذلك في أيام معينة يطلق عليها «كونت» اسم: أعياد تذكارية.

٣ ـ **قسم المجتمع إلى أربع طبقات:**

الطبقة الأولى: طبقة «الإكليريك» أو رجال الدين.

الطبقة الثانية: طبقة النساء.

الطبقة الثالثة: طبقة رجال الصناعة والمال.

الطبقة الرابعة: طبقة العمال[2].

ورأوا أن الديانة الإنسانية أفضل لهم من الديانة النصرانية من الوجوه التالية[3]؛ كما هو موضح في الجدول التالي:

---

(١) انظر: العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمود محمد مزروعة (ص٢٣٠ ـ ٢٣٦).

(٣) انظر: العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٥٩ ـ ١٦٠).

مجال المقارنة	الكنيسة	الطبيعة
الإلـه	إلـه الكنيسة بطَّاش حقود؛ يعذب السلالة البشرية، ويقتل ابنه؛ لأن الإنسان الأول أكل فاكهة من حديقته.	أما الطبيعة فإلـهها «جذاب» رحب الصدر، ليس له كنيس ولا التزامات.
القيود	إلـه متعنت يضع القيود الاعتباطية على حرية الإنسان. ويقيده بالالتزامات.	لا يستدعي طقوساً ولا صلوات، وكل ما يطالب به الإنسان أن يكون إنساناً طبيعيّاً يلبي مطالبه الطبيعية في وضوح وصراحة.
رجال الدين	يفرض الخضوع المذل لممثليه على الأرض.	الإلـه الجديد ليس له رجال دين يستعبدون الناس لأنفسهم، ولا كتاب مقدس متناقض ولا أسرار عليا مقدسة، بل له دعاة من أمثال «روسو وفولتير»، وله كتب علمية هي «دائرة المعارف» أو «العقد الاجتماعي» أو «روح القوانين».
السعادة	يفرض عليه الرهبانية التي تشقي ولا تُسعد.	القانون الطبيعي «الجاذبية» يجعل الكون مترابطاً متناسقاً لا اضطراب فيه ولا خلل، وبالمقابل جعلت الطبيعة للإنسان قانوناً طبيعيّاً يكفل له السعادة التامة.

- **المرحلة السابعة: مرحلة الإلحاد الجديد:**

يطلق الإلحاد الجديد في الغرب على الأفكار التي طرحتها مجموعة من الكُتَّاب الملاحدة، وأبرزهم: دوكنز، وسام هارس، ودانيل دانيت، وكريستوفر هيتشنز ـ وهذه المجموعة عرفت بمهاجمتها الدين والإلـه والمناهج الدينية، والدعوة إلى الإلحاد، ونبذ الدين عموماً، والإسلام خصوصاً. ومن أشهر رواد هذه المرحلة:

١ ـ **ريتشارد دوكنز**، وفلسفته الإلحادية قائمة على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن نظرية التطور لداروين تفسر كل ما في عالم الأحياء من تعقيد، وهذه النظرية متعارضة مع القول بوجود الإلـه، فلا بد من الإيمان بأحدهما: إما العلم وإما الإلـه، فاختار هو العلم.

وهذا الأمر لا جديد فيه، وهو باطل بمقدمتيه ونتيجته، وقد تقدم نقده عند الرد على القائلين بالطبيعة.

الأمر الثاني: أنه يمثل الإلـه بالإنسان؛ لكنه الإنسان العظيم، السوبر مان، ثم ينظر في الواقع ويحاسب الإلـه على ما يتوقع صدوره من الإنسان، فلما لم يقع ما يراه الصواب، فهو غير موجود.

الأمر الثالث: أن وجود الإلـه محتمل، والأدلة لا تثبت ولا تنفي، ولكن الأدلة تثبت أن العشوائية والصدفة هي التي أوجدت الكون والحياة، فلا يوجد بالتالي ـ على حد زعمه ـ إلـه.

٢ ـ **دانيل دانيت**، وفلسفته الإلحادية قائمة على أربعة أمور:

الأمر الأول: نظرية التطور لداروين فيها التفسير الصحيح لنشأة العالم، فكل سمة من سمات العالم يرجع إلى آلية ميكانيكية عمياء لا غاية لها ولا بصيرة.

الأمر الثاني: العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، ويجب إبعاد الإيمان عن هذا المجال، حتى في الأمور الغيبية.

الأمر الثالث: فكرة وجود إلـه فكرة طفولية.

الأمر الرابع: الأدلة التقليدية على وجود الإلـه غير صحيحة، ولا بد أن يكون الدليل حسياً عملياً.

٣ ـ **ستيفن هو كينج**، وفلسفته قائمة على أن ما يمكن تفسيره بقوانين الطبيعة ليس بحاجة إلى وجود إلـه، وقوانين وثوابت الفيزياء قادرة على إيجاد وتشكيل الكون، ومن ثم فلا حاجة للقول بوجود إلـه.

٤ ـ **سام هارس**، فلسفته الإلحادية برز فيها النزعة السياسية، فالدين

ـ عنده ـ هو السبب لمعاناة البشرية، ووجود العنف والإرهاب، فيجب محاربة الأديان، والقول بعدم وجود إلـٰه.

٥ ـ **كريستوفر هيتشنز**، فلسفته الإلحادية موجهة بالدرجة الأولى لأهل الإسلام، فالإلـٰه ـ عنده ـ ليس أكبر ولا عظيم كما يردد ذلك المسلمون، ويهاجم القرآن، وأهل الإسلام.

٦ ـ **لورانس كراوس**، يكرر ما قاله دوكنز، وليس له كتاب في الإلحاد، لكنه اشتهر بسبب مشاركته لدوكنز في برامجه وأفلامه.

هذه المرحلة تهدف إلى معالجة أي شعور بالإثم أو الخطأ في ترك الدين، وممارسة الشهوات المحرمة، وتسعى لبيان إمكانية التزام الأخلاق بدون دين(١).

---

(١) انظر: خرافة الإلحاد (٣١٧ ـ ٣٧٢)، وميليشيا الإلحاد؛ لعبد الله العجيري (٧٩ ـ ٨١)، وقطيع القطط الضالة، ونظرة خلف الستار، وكلاهما لسامي الزين.

المطلب الرابع

أسباب نشر الإلحاد
في العالم الإسلامي، ووسائله

- **المسألة الأولى: أسباب اجتهاد الملاحدة في نشر إلحادهم في العالم الإسلامي.**
- **المسألة الثانية: وسائل الملاحدة في نشر إلحادهم.**

* * *

المسألة الأولى: أسباب اجتهاد الملاحدة في نشر إلحادهم في العالم الإسلامي

السبب الأول: إبعاد المسلمين عن دين الإسلام:

وهذا يتضح بالنظر إلى بداية الدعوة للإلحاد، فهي مرتبطة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، فهم يرون أن السبب في التفجير في البرجين هو الدين، فلا يمكن تفاديه مستقبلاً إلا بإبعاد المسلمين عن دينهم، ويرون أن انتشار الدين كانتشار السلاح في الشوارع، فلا تأمن في أي لحظة من استخدامه في أذية الآخرين[1].

أ ـ رينشارد دوكنز: ـ أشهر ملحد في العصر الحاضر ـ يصرح بأن سبب دعوته للإلحاد هو أحداث الحادي عشر، ويقول: «يتساءل الكثيرون، كيف غيرتك أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ إليكم كيف غيرتني: لنتوقف جميعاً

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص٢١).

عن هذا التصنع المقيت في إبداء الاحترام ـ يعني: للأديان ـ»[1].

لقد كشف «ريتشارد دوكنز» عن موقف الإلحاد الجديد من الإسلام بغاية الوضوح والصراحة في تغريدة له: «أعتقد أن الإسلام هو أعظم قوة للشر في عالم اليوم، قلت ذلك مراراً وبصوت عالٍ، فعن ماذا تتحدث»[2].

ويقول «دوكنز» كاشفاً عن بغض حقيقي لمظاهر الإسلام: «أحد المناظر الأكثر تعاسة مما يمكن أن يرى في شوارعنا اليوم؛ صورة امرأة ملفوفة في سواد عديم الشكل من رأسها لقدميها، تنظر للعالم من شق ضئيل»[3].

وأعلن في أحد لقاءاته الإعلامية: بأن المسيحية هي الحصن الأخير ضد شر أسوأ منها ـ يعني: الإسلام[4] ـ.

ب ـ سام هارس: ـ من أبرز الملاحدة المعاصرين أيضاً ـ يعترف بأن سبب انطلاقه في الدعوة للإلحاد هو أحداث الحادي عشر، وأنه بدأ في تأليف كتابه «نهاية الإيمان» في اليوم التالي؛ أي: في اليوم الثاني عشر من سبتمبر[5].

ويقول: «بأن فكرة الحرب على الإرهاب لا معنى لها». «وأنه حان الوقت للاعتراف بأننا لسنا في حرب مع الإرهاب وإنما في حرب مع الإسلام».

بل يقول: «إننا في حرب تحديداً مع الرؤية للحياة التي يحددها القرآن لكل المسلمين. لسنا نقول بأننا في حرب مع جميع المسلمين لكننا قطعاً في حرب مع ملايين ليس لهم صلات مباشرة بالقاعدة».

ويقول: «إننا الآن في القرن الواحد والعشرين، جميع الكتب بما فيها القرآن ينبغي أن تكون مباحة لنا بحيث يمكننا أن نلقيها في المرحاض دون

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص٢٢).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق (٧٢).
(٤) انظر: خرافة الإلحاد (٣٨).
(٥) المصدر السابق نفسه.

خوف من ردود الفعل العنيفة»[1].

يقول «بيتر سينغر»: «نهاية الإيمان ليس تحدياً للمسلمين فحسب، لكنه تحدٍ كذلك للهندوس واليهود والنصارى كذلك»، فالكتاب نقد للإسلام بالأصالة ولغيره تبعاً. وهاجس الإسلام حاضرٌ جدّاً عند سام هاريس حيث خصص في مدونته قسماً خاصّاً بالإسلام[2].

ـ في كتاب «سام هاريس» (نهاية الإيمان) أورد كمثال على خطر الظاهرة الدينية على البشرية القصة المكذوبة عن منع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لرجل الإطفاء من إنقاذ الطالبات اللاتي حبسن في مدرسة بمكة شب فيها حريق تحت ذريعة أن الطالبات لم يكن محجبات، الحادثة الشهيرة المكذوبة والتي دمجت الرئاسة العامة لتعليم البنات بوزارة التربية والتعليم على أثرها.

بل إن لـ«دوكنز» تغريدة يتحدث عن موضوع منع قيادة المرأة للسيارة في السعودية، ليس هذا فحسب بل مشيراً إلى من أقحم بجهل موضوع تأثير القيادة على مبايض المرأة، ومثله تغريدة لـ«سام هاريس»، وشواهد متابعة الملاحدة الجدد للوضع المحلي السعودي كثيرة، بل إن دوكنز في أحد حواراته صرح بأنه «يتمنى أن يجد طريقة ليتعلم السعوديون أن بإمكانهم أن لا يكونوا مسلمين».

ويقول أيضاً: «السعودية تحت حكم الأمراء السعوديون، حيث المرأة لا تستطيع أن تقود السيارة، وتحصل لها المشكلات لو خرجت من المنزل من غير قريب ذكر، والذي يمكن أن يكون وكتنازل سخي طفلاً صغيراً».

وفي كتاب (God is not Great) لهيتشنز عقد فصلاً مخصصاً للإسلام عنون له بـ «القرآن مستعار من خرافات اليهودية والنصرانية».

واستمراراً في ملف نشر الشائعات عن الإسلام؛ يتحدث «سام هاريس»

---

(١) انظر: خرافة الإلحاد (ص٧٠ ـ ٧١).

(٢) المصدر السابق (ص٧٠).

عن أن تعلم القراءة يعرض المرأة الأفغانية في فترة حكم طالبان للقتل، وأنهم كانوا يمارسون تجهيلاً منظماً لهنّ، إلى درجة أنهم سكبوا الأسيد على وجه من تريد تعلم القراءة(١).

السبب الثاني: إبعاد الغربة عن الملاحدة في بلاد المسلمين، فهم يريدون تكثير سوادهم لعدة أمور:

١ ـ إزالة الوحشة المقلقة عن نفوسهم، وإبعاد الشعور بالانحراف عن أذهانهم، وبث الطمأنينة في قلوبهم، وتثبيتهم على الإلحاد.

٢ ـ للاستفادة من الكثرة في المطالبة بحقوق الملحد في الردة، ونيل الشهوات، ونشر الآراء الإلحادية، ونحو ذلك(٢).

يقول د. صالح سندي: «الواقع يشهد أن الملاحدة ناشطون في نشر باطلهم، لا سيما في محيط أبناء المسلمين، وذلك لأمور:

الأول: أن الملحد ـ في العالم الإسلامي ـ يشعر بالغربة؛ فهو يريد أن يكثر عدد الداخلين في هذا الفكر حتى تخف عنه هذه الغربة، وهكذا الشأن في كل ذي أمر قبيح؛ فإنه يتمنى أن يصير الناس كلهم مثله حتى يذهب عنه بعض ما يجد، ومما يروى عن عثمان ﷺ: «ودّت الزانية أن النساء كلهن زوانٍ».

الثاني: أنه إذا كثر الملاحدة وعلا صوتهم؛ أصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع، تستطيع أن تؤثر في الواقع بحسب أهوائها، وغالب الملاحدة من ذوي الإلحاد النفعي المادي؛ فلا يرومون إلا الشهوات.

الثالث: رغبة الملحد أن يُطمئن نفسه؛ فالملحد ذو شخصية قلقة شكاكة ـ وإن كابر ـ فإذا رأى الواحد تلو الآخر ينضم إلى فكره الإلحادي سكنت نفسه بعض الشيء»(٣).

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص٧٤ ـ ٧٧).

(٢) المصدر السابق (ص٤٢).

(٣) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٥٨).

المسألة الثانية: وسائل الملاحدة في نشر إلحادهم

يمكن إجمال تلك الوسائل في ثلاث:

الوسيلة الأولى: الكتب الإلحادية والروايات:

فمن خلال الكتب والروايات يبث الإلحاد بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، ولكنها تطرح الأفكار التي يرتكز عليها الملاحدة في نشر الإلحاد، مثل:

١ ـ ثقافة الشك.

٢ ـ إضعاف الثقة في النفوس بالنصوص الدينية.

٣ ـ تبغيض الدين في النفوس.

٤ ـ التشكيك في حكمة الباري، وبث فكرة العبثية الكونية.

يقول د. صالح سندي: «الوسيلة الثانية: الروايات؛ والمقصود: الروايات المنحرفة عقديّاً، فهي معول هدم للعقيدة، ومركب ذَلول موصل إلى الإلحاد؛ وذلك أن الروايات قصص، والنفوس مجبولة على حب القصص، لا سيما وأن كثيراً منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغريزة، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات والشباب، الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات.

وهذا النوع من الروايات أُحبولة للإلحاد، وغالباً ما ينفذ الملاحدة ـ من خلال هذه الروايات ـ من مشكلة القدر التي يزعمون؛ بالتشكيك في حكمة الباري ﷻ، أو ما يطلقون عليه: (العبثية الكونية)؛ التي نتيجتها جحد وجود رب مدبر للكون»[1].

الوسيلة الثانية: القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، والإعلام الجديد:

ومن خلال هذه الوسائل يُعرض ما يلي:

١ ـ عرض مفاهيم إلحادية واضحة ومبطنة.

---

(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته). لصالح سندي (ص ـ ٦٤)؛ وانظر: ميليشيا الإلحاد. لعبد الله العجيري (ص٢٤ ـ ٣٠).

٢ ـ تمجيد دعاة الإلحاد.

٣ ـ نقل النظريات الإلحادية في صور تبدو علمية.

٤ ـ السخرية والاستهزاء بالدين والمتدينين.

٥ ـ نشر التذمر من الوصاية من قبل العلماء على العقول كما يزعمون.

٦ ـ الدعوة للانفتاح الفكري بدون قيود أو ضوابط.

يقول د. صالح سندي: «أما عن الوسائل التي ينفذ الملاحدة من خلالها إلى شباب المسلمين ـ ذكوراً وإناثاً ـ فكثيرة:

منها: الكتب الإلحادية ـ التي تباع، أو التي تنشر عن طريق الشبكة ـ... ومنها كذلك: القنوات الفضائية؛ من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطنة؛ عن طريق برامج أو حوارات أو مناظرات أو أفلام ـ للكبار أو للصغار ـ وما إلى ذلك.

بل يمكن أن يكون ذلك من خلال البرامج العلمية الوثائقية التي توصل للنظريات الداعمة للإلحاد ـ كنظرية داروين مثلاً ـ وهذا ما تقوم به بعض القنوات الوثائقية المشهورة اليوم»[(١)].

الوسيلة الثالثة: اللقاءات المباشرة؛ مثل: الصالونات الثقافية، والجلسات الخاصة، والمنتديات العامة.

وفيها يكون الدعوة إلى:

١ ـ الإلحاد الصريح.

٢ ـ التحرر والانفتاح.

٣ ـ التخلص من العادات والعبادات الدينية، وإظهارها بصورة رجعية.

٤ ـ تهييج الناس على أهل الحسبة لتدخلهم بزعمهم في حريات الآخرين[(٢)].

---

(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٥٩)؛ وانظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص٣٠ ـ ٣٥).

(٢) انظر: الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٦٢ ـ ٦٣).

المطلب الخامس

أسباب تسلل الإلحاد للعالم الإسلامي ومرتكزاته

- **المسألة الأولى: أسباب تسلل الإلحاد للعالم الإسلامي.**
- **المسألة الثانية: مرتكزات الإلحاد المعاصر.**

* * *

المسألة الأولى: أسباب تسلل الإلحاد للعالم الإسلامي

إذا قلنا بوجود مبررات لانتشار الإلحاد في الغرب، فلا مبرر له في العالم الإسلامي، فكيف تسلل إذن، **يمكن إجمال الأسباب فيما يلي:**

١ ـ **الجهل بدين الإسلام، والظن أن الفرق المبتدعة تمثله؛** فوجدوا تشابه بين الانحرافات سواء في العقيدة أو العبادة في النصرانية، وهي موجودة في بعض الفرق المنتسبة للإسلام.

٢ ـ **الطغيان الذي يمارسه بعض أئمة أهل البدع مع متبعيهم،** وهو من جنس طغيان رجال الكنيسة.

٣ ـ **الانبهار بالتقدم المادي الحضاري الذي وصل له الغرب وربطه بالإلحاد،** وربط التخلف التقني بالتمسك بالدين.

٤ ـ **حب الشهوات؛** فلما يرى في الغرب التمتع بكل ما تشتهيه النفس بدون عائق ديني، ويصور له بأن الدين يكبت الغرائز، فهو يبحث عن سعادته البهيمية في غير إطار الدين، وليعالج نفسه من تأنيب الضمير[1].

(١) انظر: ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٦٤ ـ ١٦٩).

وقد ذكر د. عبد الله العجيري جملة من الأسباب؛ منها:

أ ـ غلبة القيم المادية العلمانية وهيمنة اللبرالية في حالات ضعف الممانعة إلى إعادة تشكيل العقول والتصورات في ضوئها، ويتسبب ليس في منافرة الخطاب الشرعي في شقه البشري فحسب؛ بل قد يحمل صاحبه على منافرة بعض القيم والمبادئ الشرعية الثابتة، وذلك بحسب حجم هيمنة مثل تلك التصورات على عقلية الشخص.

ب ـ واقع التخلف الحضاري، والحرمان من الحقوق المطلوبة، والحريات المشروعة، والتي تزيد من حالة الاحتقان لدى كثير من القواعد، وتدفعهم للتفتيش عن خيارات بديلة تسهم في تحقيق النهضة ورفع الظلم.

ج ـ الشعور بأن الخطاب الديني يسهم سلباً في رفع الظلم، أو يشرع للاستبداد وسلب الحقوق[1].

المسألة الثانية: مرتكزات الإلحاد المعاصر

إن الملاحدة المعاصرين يلبسون زوراً العلم، وإنما هم أتباع المادية الغالية، وهم عباد المادة، ومؤلهة الإنسان، فيعتقدون بأنه لا موجود إلا المادة، والمادة هي المحسوس، فكل ما لا يحس فهو غير موجود، والإلـٰه ليس بمحسوس فهو غير موجود، ولا يوجد أيضاً ملائكة ولا جن ولا دين، ولا يوم آخر، ولا تشريع من الله، ولا مصدر إلـٰهي للمعرفة، وهكذا، فالإنسان هو سيد نفسه، وهو مقياس الخير والشر، ووجد للمتعة واللذة، وهو مصدر التشريع.

ثم يعتقدون أن المادة أزلية، وبسبب حركتها العشوائية بمحض الصدفة تكونت الأشياء، ووجدت في الأشياء قوانين لا تتخلف هي التي تدبرها وتسيرها، فكل الظواهر الطبيعية، والحالات النفسية، والحوادث التاريخية تفسر بتلك القوانين من غير حاجة للقول بوجود إلـٰه.

---

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري (ص١٠٢).

إن العلم لا يخدمهم البتة، فهو يثبت أن المادة المعينة لها بداية ونهاية، ويثبت أن في الأشياء تصميم ذكي ينافي أن يكون لها بذاتها، وينافي الصدفة والعشوائية، ويثبت وجود حكيم من خارج الكون هو الذي يدبر الأشياء، ويضع نظامها.

إن الملاحدة يحاولون جاهدين أن يقيموا إلحادهم على نظريات؛ سواء علمية تجريبية، أو فكرية فلسفية؛ ليظهروا أمام الناس أنهم من أهل العلم والحكمة. وهذه دعوى باطلة؛ فالعلم يدعو للإيمان بالله، فيؤيد الفطرة، ويكشف ما في المخلوقات من جمال وإبداع وإحكام وإتقان وتخصيص وتسوية وتقدير وعناية ولطف، والعقل والحكمة تقول لا بد من وجود إلـٰه خالق قادر حكيم مبدع متقن، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

والنظريات العلمية تنقسم إلى قسمين: إما غير صحيحة؛ فاستدلالهم بها باطل، وإما صحيحة وهي تكشف عن الكيفية والسبب لا الفاعل، ولا تدل ألبتة على أنها من غير خالق، بل هي عند العقلاء من أعظم الأدلة على وجود الله لما تكشفه من الإبداع واللطف والعناية في خلق المخلوقات.

أ ـ فالنظريات العلمية مثل:

١ ـ نظرية «دارون» في التطور.

٢ ـ نظرية الانفجار العظيم.

١ ـ نظرية التطور لدارون:

نظرية التطور تقوم على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر:

١ ـ إن المخلوقات الحية وجدت على الأرض في مراحل تاريخية متدرجة، ولم توجد دفعة واحدة.

٢ ـ إن هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً نتج بعضها من بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة.

استثمرها الملاحدة كالتالي: لا وجود للخالق، والإنسان من إبداع الطبيعة.

يقول د. سفر الحوالي: «الذي عملته الداروينية: أنها دمجت بين الأصلين، وجمعت شواهد ودلائل الأصل الأول لتؤيد بها الثاني، وهذا اللبس غير العلمي هو الذي أغرى بعض العلماء بقبول النظرية وأضفى عليها مسحة «العلمية» مع أن هذه المسحة يصح أن تضفى على الأصل الأول ولكن إضفاءها على الثاني خطأ محض؛ إذ من المعلوم بدهياً أن الترتيب التاريخي للوجود لا يستلزم التسلسل الوراثي.

بل إن العقل ليؤكد ما هو أبعد من ذلك؛ وهو أن الترتيب المنطقي لا يستلزم الترتيب التاريخي، فالترتيب المنطقي للكائنات الحية هو ـ تصاعدياً ـ النبات ثم الحيوان ثم الإنسان، وليس في هذا الترتيب ما يدل على أن الوجود التاريخي لهذه الأجناس وقع بهذا الترتيب، بل نحتاج في إثبات ذلك إلى دليل خارجي، وذلك يشبه تماماً الترتيب المنطقي للأعداد (١ ٢ ٣ ٤)، وبدهي أنه ليس لها ترتيب تاريخي ولا يوجد بينهما علاقة وراثية»[(١)].

لا شك أن المخلوقات لم توجد دفعة واحدة ـ كما هو معروف ومشاهد ـ، ولكن ما الدليل على كونها جميعاً متسلسلة من حيوان الأميبا، وأن الإنسان ابن القرد؟!

١ ـ فهذه النظرية قاصرة؛ فلا تكشف عن أصل الحشرات والطيور مثلاً:

يقول د. صالح سندي: «نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع ظواهر الحياة في هذا الكون، إذ هي ـ مثلاً ـ لا تقدم تفسيراً لأصل نشأة الحشرات، مع أنها تمثل ٨٠٪ من مجموع الحيوانات؛ فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه، ولِم لم يجرِ عليها قانون التطور؟

كما أنها لم تقدم تفسيراً للطيور؛ فهل ما يطير من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور؟

إلى أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء قد أهملتها؛ فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير ٩٠٪ من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟»[(٢)].

---

(١) العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٨٤).

(٢) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٣٠).

٢ ـ وهي عاجزة عن تفسير انتقال الحياة من الجماد للحي:

يقول د. صالح سندي: «عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية؛ فإذا سألتهم: كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ يجيبك الملحد وتجيبك النظرية: بأن هذا التطور إنما حصل فجأةً! صدفةً!

ولا يخفى أن الصدفة ليست جواباً علمياً، بل هي جواب يصادم العلم»[1].

٣ ـ وهي ليست علمية، فهي مبنية على مجرد المشابهة بين الإنسان والقرد في عصر معين:

يقول د. صالح سندي: «مما تزعمه هذه النظرية: إن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا يُسأل أرباب هذه النظرية: لماذا لا يكون الإنسان متطوراً من فأر وليس من قرد؟ لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض، كالسرطان مثلاً؟! ولا جواب عند هؤلاء»[2].

٤ ـ اعتمادهم على قاعدة ضمور الأعضاء غير المستعملة والأخرى تتطور:

وهذا باطل بالمشاهدة: فهذه عنق الماعز لم يصبح كعنق الزرافة، وغير ذلك.

يقول د. صالح سندي: «والسؤال الوارد عليهم: ولماذا لم تَطُل عنق الماعز مع أنها محتاجة كذلك إلى أكل الأوراق من الأشجار، وهي تمد عنقها أيضاً منذ آلاف السنين؟! أيضاً لا جواب!

كما يذكر داروين أن أسلافنا كانوا ذوي شعر كثيف، وأنه عندما تطور وتحول هذا الكائن إلى إنسان سويٍّ: سقط كثير من شعره لعدم استعماله أو

---

(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٣٠ ـ ٣١).

(٢) المصدر السابق (ص٣١).

الحاجة إليه، لكنه عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء كما هو عند الرجال اعتذر بعذر عجيب؛ حيث زعم أن هذا ضروريٌّ لجمال المرأة وجاذبيتها!

وهذا الجواب من الممكن أن يُقتَنع به لو كان النظر للموضوع يصاحبه اعتقادٌ بوجود خالق حكيم؛ لكن هذا لا يقرُّ به الملاحدة!

أيضاً حاول داروين أن يفسر وجود الشعر في منطقة الرأس من الإنسان، وعدم تساقطه مع بقية شعر الجسم الذي سقط ـ في زعمه ـ فيقول: بما أن الرأس معرض كثيراً للضربات؛ فقد كان من الضروري أن يبقى الشعر عليه!

يا لله العجب! فماذا عن الجبين والأنف، وهما يتعرضان لصدمات أكثر؟! وماذا عن الشعور الداخلية في الجسم؛ هل كان وجودها لهذا السبب أيضاً؟! باختصار: إنها نظرية هشّة، متداعية»[1].

ـ أخذ «ماركس» جوهر نظرية «داروين» وأنشأ على أساسها نظرية اقتصادية وتفسيراً للحياة البشرية إلحادية فخرج بأن: الأحوال المادية والاقتصادية هي العنصر الرئيس المسيطر على حياة الإنسان وأفكاره ومشاعره، وعلى أساسها يكون متديناً أو ملحداً.

ـ وكذلك «نيتشه» ذهب إلى أنَّ الكائنات بدأت من الخليَّة الواحدة ثم تطوّرت حتى وصلت للإنسان. ولكنَّ الإنسان وقف في مسيرة الارتقاء بسبب أوهامه عن الدِّين والأخلاق والتقاليد والإبقاء على الضعفاء، وعلى الإنسان أن يبدأ مسيرة التطوُّر عن طريق القضاء على الدِّين والقيم وإحياء الصراع بين الأقوياء والضعفاء دون رحمة» لنصل في النهاية إلى الإنسان (السوبرمان)، ولهذا عُرِفت فلسفة «نيتشه» بفلسفة العنف.

فقد كان لا يؤمن بما وراء الحس. ويعتبر الدِّين أكبر خرافة توارثتها الإنسانية، وكان يمجِّد القوة ويدعو إلى القضاء على ما يعارضها؛ كالحب والعطف والرحمة، وقد ركّز نيتشه في فلسفته على خلْق الإنسان الأعلى

---

(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٣٢ ـ ٣٣).

(السوبرمان) عن طريق الصراع بين الأغنياء والضعفاء والتطوُّر الذاتي.

ـ وكذلك «فرويد» أتى بنظرية إلحادية في علم النفس، مستوحاة كذلك من نظرية التطور الداروينى، فزعم أن: الطاقة الجنسية هي المحرِّك للطاقة الإنسانية، وهي الأساس لنشوء الدِّين والقيم.

ففي فجر التاريخ ـ بزعمه ـ وقعت حادثة كانت الأساس لنشوء الدِّين؛ ذلك أنَّ الأولاد شعروا بالرَّغبة الجنسية تجاه أُمِّهم فوجدوا أباهم حائلاً بينهم وبين الاستيلاء على الأم فقتلوه، ثم أحسُّوا بالندم على قتل أبيهم فقدَّسوا ذكراه؛ فنشأت أوَّل عبادة عرفتها البشرية، وهي عبادة الأب.

ثم إنَّ الأولاد وجدوا أنهم سيتقاتلون للاستيلاء على الأم وسيقتل بعضهم بعضاً فاتَّفقوا على أنَّ لا يقربها أحد منهم؛ فنشأ أول تحريم في العلاقات الجنسية؛ وهو تحريم الأم.

قال «يونج» ـ تلميذ فرويد ـ في كتابه «ذكرياتي عن فرويد»: «لقد قال فرويد إنه ينبغي أن نحطِّم كل العقائد الدينية».

ـ وكذلك «دور كايم» أتى بنظرية إلحادية في علم الاجتماع مستوحاة من نظرية التطور؛ **خلاصة آرائه تتمثَّل فيما يلي:**

أ ـ أن تصرُّفات الكائن البشري من إيحاء العقل الجمعي.

ب ـ والفرد يتقبَّل ما يُلقيه إليه العقل الجمعي بلا وعي ولا إرادة.

ج ـ الدِّين والقيم والأخلاق ناشئة عن العقل الجمعي.

د ـ العقل الجمعي دائم التغيُّر؛ ولذا لا يمكن ثبات الدِّين والأخلاق والقيم، بل إنها تتغيَّر تبعاً لتغيُّر العقل الجمعي، وهذا التغيُّر لا يمكن إيقافه؛ لأنَّه من خارج الذات[(١)].

يقول د. سفر الحوالي: «والحق أن أوروبا بعد داروين قد عبدت الشيطان بعد أن كانت تعبد المسيح؛ عبدته مرة عن طريق عبادة «الطبيعة»...

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب (ص١٠٠ ـ ١١٨).

صحيح أن الطبيعة عُبدت قبل داروين ولكن داروين كان نبيّاً جديداً لها ـ إن صح التعبير ـ، وعبدته مرة عن طريق عبادة الإنسان؛ وهي الفكرة التي دعا إليها الفيلسوف اليهودي «نيتشه» قائلاً: إن الإله قد مات وإن الإنسان الأعلى «سوبرمان» ينبغي أن يحل محله....

وعبدته مرة عن طريق عبادة المادة، ولا غرابة في أن يكون نبي هذه العبادة يهوديّاً كذلك، وهي ديانة «ماركس» التي يدين بها اليوم مئات الملايين من البشر.

وعبدته مرة عن طريق عبادة «الجنس» وكان اليهودي «فرويد» هو بطل هذه العبادة.

وعبدته في صور شتى تتفق جميعها في الاستمداد من داروين ونظريته.

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت إسهاماً عظيماً في هدم العقيدة الدينية وتحطيمها، وليس من المبالغة أن نقول: إن دورها في ذلك لا يوازيه أي نظرية بشرية أخرى»[1].

٢ ـ نظرية الانفجار العظيم:

«خلاصة هذه النظرية: أن أصل الخلق كان كُريَّة بسيطة ذات خلية واحدة، وهي صغيرة كرأس الدبوس، كانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثم انفجرت فجأة قبل (١٥) مليار سنة! فنتج عن هذا الانفجار تكوّن هذا الكون بالتدريج.

فأصل هذا الكون كله إذن: رأس الدبوس هذا[2].

وهنا نطرح عليهم التساؤلات التالية:

١ ـ من أين جاءت نقطة الدبوس هذه؟! هذا ما لم يجيبوا عنه، ولن يجيبوا.

---

(١) العلمانية، لسفر الحوالي (ص١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٣٣ ـ ٣٤).

٢ ـ لماذا كانت هذه الكرية ساكنة ثم قررت فجأة أن تنفجر؟! وما ميزة هذه اللحظة التي انفجرت فيها بالذات ـ عن غيرها؟

٣ ـ كيف يُنتِج انفجارٌ نظاماً بديعاً؟ وهل الانفجار يناسب النظام؟

٤ ـ كيف أنتجت نقطةٌ من مادةٍ جامدةٍ حياةً وعقلاً ومشاعر؟

ويجيب الملحد: بأنه حصلت تفاعلات؛ أنتجت خلايا اجتمعت؛ فتكونت بعد الانفجار بهذا النظام البديع في كل شيء.

٥ ـ كيف حصل هذا الاجتماع للخلايا؟ وكيف وجدت الحياة من الجماد؟

أجابك الملحد ببلادة: حدث هذا تلقائياً. وصدفةً!

إنَّ الصدفة عند الملاحدة: ربُّ العالمين المكوِّنُ لهذا الكون! لأن كل الظواهر عندهم تُعلق بها؛ فبالصدفة وُجدت السماء، ووُجد الغلاف الجوي، وُوجد الضغط الجوي، ووُجدت الغازات، ووُجدت السحب، ووُجدت أرضٌ قابلةٌ للحياة، ووُجدت الأنهار، ووُجدت البحار، ووُجدت الأسماك، ووُجد الإنسان، ووُجدت أعضاء مناسبة لاحتياجاته؛ فوُجد سمع، ووُجد بصر، ووُجد قلب يدقُّ، ووُجدت كريات دم حمراء وكريات دم بيضاء بأعداد متناسبة، وفوق هذا وُجد العقل والأحاسيس؛ كل هذا حصل ـ عند الملاحدة ـ صدفة!

لا يشك عاقل أن قانون الصدفة باطلٌ. ففي بداءة العقول: لا يمكن أن توجِد الصدفة حقائق منتظمة[١].

وهناك نظرة أخرى لنظرية الانفجار العظيم؛ يلزم منها حدوث هذا الكون المشهود بما فيه من زمان ومكان:

يقول د. جعفر شيخ إدريس: «ثم جاءت نظرية الانفجار العظيم فأبطلت هاتين الحجتين الأساسيتين اللتين اعتمد عليهما الإلحاد الحديث؛ إذ إنها

(١) الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٣٤ ـ ٣٥).

تقتضي أن هذا الكون ـ بما في ذلك الزمان والمكان ـ له بداية مطلقة.

إن العلماء الكونيين يعتقدون أن الانفجار العظيم يمثل ليس فقط ظهور المادة والطاقة من فراغ موجود سابقاً، بل خلق الزمان والمكان أيضاً. إن الكون لم يخلق في زمان ومكان، بل إن الزمان والمكان هما جزء من العالم المخلوق.

وعلى ذلك يوافق «ستيفن هوكنج» الذي دعاه بعضهم بـ«نيوتن العصر الحديث» حيث قال: إن أعظم سوء فهم للانفجار العظيم هو القول بأنه بدأ كتلة من المادة في مكان ما من خلاء الفضاء، لم تكن المادة هي وحدها التي خلقت أثناء الانفجار العظيم، بل إن الزمان والمكان أيضاً خلقا؛ وإذن فبالمعنى [الذي يقال به]: إن للمكان بداية، فللزمان أيضاً بداية»[1].

فاعترف آخرون بدلالتها على وجود الخالق في حال صحتها:

يقول د. جعفر شيخ إدريس: «فمنهم من قال: إنه إذا صحت النظرية؛ فلا مناص من القول بوجود الخالق، يقول «وتكر»: «ليس هنالك من أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثيرت فجأة إلى الفعل. إذاً ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟ الأبسط من هذا أن نفترض الخلق من العدم ـ الإرادة الإلـٰهية تكوّن الطبيعة من العدم المحض».

أما أنه يلزم القول أن الطبيعة لا يمكن أن تتكوّن إلا بإرادة إلـٰهية، فنعم، لكن لا يلزم من هذا أن يكون تكوينها من العدم المحض، إلا إذا افترضنا أن الخالق لم يخلق إلا كوننا هذا الذي نشاهده وندرسه. لكن هذا ليس بلازم. بل إن المسلم يعتقد أن الله ـ تعالى ـ مخلوقات سابقة في وجودها لوجود كوننا هذا»[2].

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٩١).

(٢) المصدر السابق (ص٩٥).

ب ـ والنظريات الفكرية الفلسفية، مثل:

١ ـ المذهب الحسي في المعرفة:

أ ـ «ديفيد هيوم»: كان لا يؤمن بما وراء الحس، ولهذا أنكر عالم الغيب كله بما في ذلك الله والدار الآخرة، واعتبر العقائد الإيمانية كلها من أوهام الإنسان وخياله.

ب ـ «شوبنهاور»: لا يؤمن بما وراء المادة من الغيبيات، ويرى أنَّ العالَم المادي أو الحس كافٍ لتفسير كل ما يجري فيه، وليس بحاجة إلى قوة خارجية تؤثر فيه.

وزعم أنّ الكون كله يخضع إلى (الإرادة الكلية) وهي التي تُحافظ على بقائه. وزعم أنَّ وسيلة الإرادة الكلية في الإبقاء على النوع الإنساني هي العقل والجنس؛ فالعقل يُقنع الإنسان بقبول الحياة على ما فيها من ألم عن طريق اختراع أشياء تقنعه بالحياة؛ كوجود إلـٰهٍ أو بعْثٍ أو جنة أو نار، والجنس يقوم على إغراء الذّكر بالأنثى والعكس، وقد أعلى من شأن الغريزة الجنسية واعتبرها أساس السلوك الإنساني.

٢ ـ المذهب العقلي في المعرفة:

كل الأشياء محسوسة، وكل المحسوسات تدرك بالعقل؛ فكل ما لا يحس فهو لا يعقل، فهو غير موجود.

ـ **«أوجست كونت»**: يرى أنَّ الفكر الإنساني لا يُدرك إلّا الظواهر المحسوسة في العالَم وما بينهما من علاقاتٍ محسوسة، أما العلل التي وراء هذه الظواهر فهي أوهام لا صِلة لها بالواقع، ولهذا أهمل عالَم الغيب كله.

ولا شك في بطلان هذه المذاهب الفلسفية:

١ ـ ليست الموجودات محصورة في المحسوسات.

٢ ـ العقل أضعف من أن يحيط بجميع الموجودات.

٣ ـ لا يمكن بالحس والعقل الحكم على كل شيء، مثل: الروح، والعقل، والرؤى، وغيرها.

٣ ـ قاعدة الشك والقول بنسبية الحقائق:

ـ **قال «أرسطو»**: من أراد أن يشرع في المعارف الإلـهية؛ فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه.

فهم اعتمدوا على أنه ليس هناك حقيقة مطلقة ومنها: الإيمان بالله، فالإيمان بالله أمر نسبي، وينبغي ألَّا نقطع به.

منهج الشك منهج مصادم للعقل بكل صراحة:

ـ **ففيه: مطالبة لمن وصل لبرد اليقين ليشك**، كمن يطالب شخصاً ليأكل السم حتى يجرب العافية.

ـ **وفيه إفساد الدنيا**: فيعتدي شخص على آخر، فيقال له: أخطأت، فيقول: الحقيقة نسبية[١].

(١) انظر: الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٤١ ـ ٥١).

المطلب السادس

آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع

للإلحاد آثار سيئة على الفرد والمجتمع؛ منها:

١ ـ فقدان طعم السعادة، ولذة العيش، وراحة النفس:

صدَّر الملحد «برتراند رسل» كتابه الفوز بالسعادة، بمقولة «والت ويتمان» إعجاباً بها: «أتمنى لو أستطيع أن أعيش مع الحيوانات، فهي رابطة الجأش وقانعة بذاتها.

أقف وأتأمل فيها ملياً: فلا أراها تعبِّر عن حالها بالعواء المستمر، ولا تستيقظ في الظلام ولا تبكي خطاياها، ولا تمرضني بمناقشة واجبها تجاه الله، وليس بينها ناقم، ولا من ابتلي بالهوس في اقتناء الأشياء، ولا بينها من ينحني للآخر، ولا لجنسه الذي عاش قبل آلاف السنين، ولا بينها محترم ولا تعيس على سطح الأرض»[١].

• **يكفي قراءة هذه الأمنية في معرفة مقدار الشقاء الذي وصل إليه الملحد.**

ثم يفتتح كتابه مباشرة بقوله: «تكون الحيوانات سعيدة ما دامت تتمتع بالصحة، وتجد ما تكفيها لتأكل، وشعور البشر ينبغي أن يكون هكذا أيضاً».

• **ويكفي هذا في بيان مفهوم السعادة عند الملحد في أنه متعلق بالحياة البهيمية، لكن البهائم المطورة؛ يعني: مع بعض الأخلاق النفعية، ومع هذا يشتكي من فقدان السعادة عند كثير من الناس.**

---

(١) الفوز بالسعادة، لبرتراند رسل (ص١٩).

فيكمل كلامه: «إلا إنهم في العالم الحديث ليسوا سعداء في غالب الأحيان على الأقل؛ فإن كنت شخصاً تعيساً فلعلك مستعد أن تعترف أنك لست الوحيد في ذلك، وإن كنت سعيداً اسأل نفسك كم من أصدقائك هم هكذا؟

وعندما تستعرض أصدقاءك علِّم نفسك فن قراءة الوجوه، وتصفح من تقابلهم في يوم عادي كي تتعرف على حالاتهم النفسية: السمة في كل وجه أقابله؛ سمة الضعف، والكآبة»[1].

• الملحد يعيش العذاب النفسي في الدنيا حتى يتمنى لو كان بهيمة من البهائم، وقد ذكر د. حبنكة صوراً من أنواع العذاب النفسي الذي يعيشه الملحد فقال:

- «القلق والاضطراب، والحرمان من طمأنينة النفس وراحة القلب.
- ضيق الصدر، والشعور بالسجن النفسي.
- تكدّر النفس.
- الغمّ والهمّ.
- الحزن والأسى.
- الرغبة بالانتحار تخلصاً من الحياة.
- إرادة الانتقام، والظمأ النفسي؛ للتشفي من كل شيء في الوجود.
- مشاعر الكراهية والبغض.
- الخوف الشديد من الأوهام.
- الهلع الذي لا يهدأ، إذا أصابه الشر فهو جزوع، وإذا أصابه خير فهو منوع، يعاني آلام الخوف من زوال ما في ملكه من زهرة الحياة الدنيا.
- شدة الحقد على كل ما لا يطاوع في تحقيق الرغائب.
- الحسد الذي يكوي القلوب بناره.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

- التمزق النفسي.
- الضجر من الحياة.
- جنون العظمة، ومشاعر آلام الحرمان مما يصبو إليه منها.
- العزلة النفسية التي تولدها الأنانية المفرطة، وهذه العزلة تقترن بالوحشية المضنية المملة»[1].

٢ ـ القضاء على الأخلاق والقيم:

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

بيَّن الله تعالى حال المكذب باليوم الآخر؛ أنه سيئ الخلق مع المجتمع، لا سيما من لا منفعة عاجلة من ورائه؛ كالأيتام والمساكين.

فهم لا يؤمنون بقيم ثابتة توجه سلوك الناس، وتضبطه، وإنما لكل إنسان أن يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قِيَماً وأخلاقاً مُعينة على الآخرين.

يقول «سارتر»: «إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثمة مَنْ له الحقُ في توجيه النصح إليك، وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتهما».

وهكذا الملحد يدعو للفردية، والأنانية، فلا كرم ولا بذل ولا تضحية من أجل الآخرين، وإن كان يتناقض في بعض الأحيان حين يرى أن فعل مثل هذه الأمور يحقق شيئاً من السعادة.

يقول محمد قطب: «فلننظر إلى الملاحدة في شرق الأرض وغربها، ماذا يعبدون؟ وإلى أي شيء توجههم عبادتهم؟

الشيوعي عبد للدولة، وللنظام الشيوعي، وللحزب الحاكم، وللزعيم؛ لأنه لا يملك أن يفتح فمه بكلمة واحدة ضد واحد من هؤلاء، وإلا كان نصيبه الموت، فهو ـ رضي أو كره ـ مستذل لهذه الأرباب كلها من أجل لقمة الخبز، من أجل أن يعيش.

---

(١) كواشف زيوف، لعبد الرحمن حبنكة الميداني (ص٥٢٩ ـ ٥٣٠).

والغربي عبد للمال، وللشهوات. المال هو الذي يحركه؛ فلا يتحرك إلا من أجل الكسب المادي، والمال هو القيمة التي يقوم بها الإنسان؛ فوجوده ومكانته في المجتمع مرهونان بمقدار ما يتكسب من مال، والله يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهم يقولون: إن أكرمكم عندنا أغناكم.. ولو كان الغنى قد جاء من السلب والنهب والسطو على أقوات ملايين من البشر في المستعمرات التي يستعمرها الغرب وينهب أقواتها، وامتصاص دماء الملايين من العمال الذين يكدون ويكدحون، ثم يسرق عرقهم وجهدهم هذا الرأسمالي ليتجبر بها في الأرض.

ثم.. أين ينفقون أموالهم التي يجمعونها على هذه الصورة ويصبحون عبيداً لها؟ إما ينفقونها في شهوات الجسد الجامحة التي تنحط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، وإما ينفقونها في الخراب والتدمير في الصراع الوحشي الدائر في الأرض.

تلك عباداتهم، وذلك هو السلوك المترتب على عبادتهم؛ فمتى يشعرون بالقيم العليا أو يتجيبون لدواعيها؟»[1].

٣ ـ الدعوة إلى الإباحية:

فهم يقولون بحرية الإنسان المطلقة، ويرون أن على الإنسان أن يطرح الماضي، وينكر كل القيود، دينية كانت، أم اجتماعية، أم فلسفية، أم منطقية.

يقول «سارتر»: إن من لا يستمع إلينا، ولا يقبل حرية إطلاق النفس من قيودها إنما هو جبان.

ويقول: إن ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودي ـ تلبيةُ كل ما تدعو إليه شهواته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان، ثم تطليق الماضي، وسلخ المرء نفسه منه متجهاً إلى الأمام، إلى المستقبل، قفزاً إلى المصير المحتوم، إلى الهاوية، إلى الموت، والعدم الأبدي.

---

(١) ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٥٧ ـ ١٥٨).

٤ ـ التفكك الأسري، والقضاء على الروابط الاجتماعية:

الملحد لا يعطي لبر الوالدين ولا لحقوق الزوجية ولا لصلة الأرحام ولا لحقوق الجيران أي اهتمام، بل لا يرون في نكاح المحارم حرج في حال الرضا، كما ذكر ذلك «سام هارس»، ووافقه عليه «دوكنز».

٥ ـ الإجرام السياسي:

من مبادئ الملحد البقاء للأقوى، وقانون الغاب؛ ولذلك لا ترى للشعوب الضعيفة الحق في العيش، فتمارس معها أعظم أنواع البطش والإهانة.

يقول محمد قطب: «الحرب العالمية الأولى قتل فيها عشرة ملايين من الشباب، والحرب العالمية الثانية قتل فيها أربعون مليوناً من البشر.. ولم تستقر أحوال العالم ما بين الحربين ولا قبلهما ولا بعدهما إلى هذه اللحظة.

والصراع الدائر لا يكف في أطراف الأرض، ولا تكاد تجد مكاناً ينعم بالاستقرار.

ومن أجل أي شيء يقوم هذا الصراع؟

هل هو صراع لإحقاق الحق في الأرض ونشر العدل بين الناس؟

هل هو صراع لإعطاء الضعيف حقه ووقف القوى عن العدوان على الضعيف؟

ليس هناك صراع واحد من أشكال الصراع القائمة بين الدول اليوم يدور حول إحقاق الحق ونصفة المظلوم.. إنما كلها صراع دائر على مزيد من التسلط ومزيد من العدوان! الدول التي تسمي نفسها (الدول الكبرى) تتصارع الذئاب حول الفريسة، ينهش بعضها بعضاً لا دفاعاً عن الفريسة لتنجو؛ ولكن ليستأثر بها كل ذئب لنفسه دون بقية الذئاب.. والفريسة مأكولة أيّاً كانت نتيجة الصراع»[1].

---

(١) ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٦٠ ـ ١٦١).

المطلب السابع

دور العلم الحديث في الرد على الملاحدة

يعتمد الملاحدة ـ فيما يزعمون ـ على علوم الفيزياء، وأنها تقرر:

أ ـ أزلية المادة.

ب ـ المادة الأزلية عبارة عن ذرات؛ وجدت الوقت الكافي لتتجمع صدفة. وتأخذ الأشكال المعروفة في عالمنا.

فيمكن الاستفادة أيضاً من علوم الفيزياء الحديثة في الرد عليهم:

فهي تبطل:

أ ـ أزلية المادة، وتقول بأنها تنقسم وتتحول، فهي حادثة.

فالذرة مركبة من أجزاء عرف منها: الإلكترون والنيوترون والبروتون؛ وهذه المكونات هي نفسها مركبة من أجزاء أيضاً، آخر ما عرف منها: الكوارك، وليس هناك ما يمنع من تكونها من أجزاء أصغر منها، وهناك شيء آخر: هذه الأجزاء قابلة لأن تتحول إلى طاقة، والطاقة نفسها تتحول إلى مادة.

فأثبت العلم الحديث أن المادة: تفنى وتستحدث، فهي مخلوقة لا أزلية.

فكل ما يتحلل أو يتحول فليس أزلي؛ بل بالضرورة حادث، إذن فأي مادة معينة، ذات خصائص وصفات معروفة قد أثبتت التجارب العلمية أنها قابلة للتحلل والتحول فهي حادثة فانية.

ب ـ وتثبت الدقة والإتقان والإحكام والإبداع والذكاء في خلق الكون؛

مما يبطل القول بالصدفة[1].

فلا مانع من الاستفادة من العلوم الحديثة في الرد على الملاحدة؛ مع ملاحظة الضوابط التالية:

١ ـ التأكد من ثبوت المعلومة.

٢ ـ استخدامها في مكانها المناسب؛ مثل: الدقة والإتقان في مخلوقات الله تعالى، ليقرر من خلالها نفي الصدفة، والقول بأن وراءها حكيم عليم، مستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ فيضرب بها الأمثلة لمن لديه معلومات حولها.

٣ ـ التزام منهج أهل السُّنَّة والجماعة؛ لا المتكلمين ولا الفلاسفة في قضية إثبات خلق الكون وصفات الخالق ﷻ.

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص٧٥).

المطلب الثامن

موقف المسلم من قضية الإلحاد

قضية الإلحاد مرفوضة عند المسلمين فطرة وعقلاً وشرعاً، ولا مبرر لها، فقد أنعم الله عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن نعمه علينا في هذا المجال:

١ ـ تكفل الله بحفظ كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ومن تمام هذه النعمة أن سخّر الله العلماء لحفظ سُنَّة نبيِّه ﷺ، فتم بيان ما ألحق بها من الأحاديث الموضوعة؛ فمصادر تلقي الدين محفوظة، ومعانيها مبينة، من فضل الله تعالى.

٢ ـ ليس في خبر الله ما يعارضه العقل السليم، ولا العلم الحديث؛ بل قد يأتي العلم الحديث بتفصيلات قد أشار الوحي إليها في الجملة، وفي الوحي الإلـٰهي الدعوة الواضحة للعلم والتفكر والتدبر.

٣ ـ ليس فيما طلبه الله منا فعلاً أو تركاً، ما يخالف مصالح الناس في دنياهم، ولا ما يفقدهم السعادة في أبدانهم؛ بل فيه ضمان لسعادة الروح والبدن، وصلاح الدنيا والآخرة، وصلاح الفرد والمجتمع.

٤ ـ الشرك نقيض الإسلام، وحرم الله كل وسيلة تفضي إليه، ومنها: الغلو في الصالحين، وفي قبورهم، وحرم تصوير التماثيل، فلا يوجد في الإسلام وسائط بينك وبين الله في التعبد أو التوبة، ولا هناك رجال دين يمارسون التسلط على الناس في أرزاقهم أو علومهم أو حياتهم الشخصية، وإنما هناك علماء بالدين الإسلامي أوجب الله عليهم بيانه للناس.

٥ ـ ليس في الإسلام تحريم للطيبات، ولا رهبانية؛ وإنما ضبط للغرائز،

واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة، وأمرنا في الساعة التي نكون فيها بأن نجعلها صالحة لعبادة الله، محكومة بشرع الله، نقيم فيها حضارة نافعة للإنسان والحيوان كذلك؛ قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١][١].

الواجب علينا تجاه قضية الإلحاد:

١ ـ لا بد من استشعار الجميع المسؤولية التربوية والتعليمية والدعوية تجاه فئة الشباب؛ لتحصينهم من فتنة الإلحاد.

٢ ـ ربط الشباب بالوحي الإلـٰهي حفظاً وتدبراً؛ للاعتصام به.

٣ ـ التربية على الأصول الثلاثة؛ لتذوق طعم الايمان.

٤ ـ التربية على منهج أهل السُنّة والجماعة في التلقي والاستدلال.

٥ ـ الترشيد الثقافي، وضبط الانفتاح على أفكار الآخرين.

٦ ـ تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات.

٧ ـ رعاية المبتعثين إلى بلاد الغرب.

٨ ـ تجفيف منابع الإلحاد، واجتثاث أسبابه.

٩ ـ إقامة حكم الله في المرتد.

التعامل مع الملاحدة:

١ ـ مسلمٌ عرضت له شبهة إلحادية فوقع في شك، غير أنه لا يدعو إليه، ولا يسخر من الشريعة.

علاج هذا: بالمناصحة الإيمانية والعقلية، وأن يُسعى حثيثاً في اجتثات هذا الفكر من نفسه؛ بأسلوب هادئ حكيم، وهذا دور العلماء وطلبة العلم.

٢ ـ متمرد يدعو إلى الإلحاد، ويقيم عليه الأدلة، ويسخر من الشريعة وأهلها؛ فهذا يجب أن يرد عليه ولا يجوز السكوت على باطله، وفق الضوابط التالية:

---

(١) انظر: ركائز الإيمان، لمحمد قطب (ص١٦٤ ـ ١٦٩).

أولاً: الرد على هؤلاء الملاحدة ونقض شبهاتهم لا بد أن تحكمه الحكمة ومراعاة المصلحة، وهذا موضوع يجب أن يوزن بميزان الذهب؛ لأن الموضوع في غاية الخطر. فتارة تكون الحكمة في الإعراض عن الشبهة وإماتتها وإخمال ذكر قائلها والبعد عن تنبيه الجاهل عليها، وتارة تكون الحكمة في التصدي والرد.

ثانياً: يجب أن يكون الرد ـ إن تحتّم ـ محكماً قويّاً؛ وإلا فإن الرد الضعيف في مادته، أو الضعيف في أسلوبه؛ يضر أكثر مما ينفع.

ثالثاً: أن تبنى الردود على الملاحدة على قواعد أهل السُّنَّة؛ فإنه بالتتبع: وُجد أن كثيراً من تلك الردود لما بُنيت على قواعد كلامية وعلى أصول بدعية؛ كانت ضعيفة من جهة، وضرّت المسلمين في عقيدتهم من جهة أخرى.

رابعاً: إن احتيج إلى مناظرة الملحد؛ فينبغي أن تكون المناظرة فردية شخصية، لا عامة علنية ما أمكن ذلك. وذلك درءاً للمفسدة التي يخشى حصولها.

خامساً: من المهم في مناظرة الملحد أن يُمسك بزمام المناظرة، وأن يكون المناظِر المسلم السائلَ لا المسؤول؛ فإن هذا بالتجربة أنفع في تحقيق المصلحة.

سادساً: ينبغي ألا يتصدى لمناظرة الملاحدة إلا من أعد العدة، وأخذ للأمر أهبته، وتفطن إلى مداخل الملاحدة ومغالطاتهم التي قد يباغتون بها مناظريهم[1].

---

(١) انظر: الإلحاد (وسائله، وخطره، وسبل مواجهته)، لصالح سندي (ص٦٦ ـ ٧٧).

الخاتمة

تم ـ بحمد الله وتوفيقه ـ بحث دلائل الربوبية، وقد تناولت فيه الحديث عن سبعة أنواع من أدلة وجود الله، وتعرضت فيه لتوحيد الربوبية من ناحية: التعريف، والأدلة، والمكانة، والمقتضيات، والنواقض، والنواقص، والثمرات، ثم في المبحث الثالث تناولت قضية الإلحاد من ناحية: التعريف، والأنواع، والأسباب، والمراحل، والآثار، والمواقف؛ وخرجت بالنتائج التالية:

١ ـ أن أدلة وجود الله تعالى بعدد مخلوقات الله؛ فكل مخلوق دالٌّ على وجود الله من نواحي عديدة، سواء من ناحية وجوده، أو من ناحية إحكام خلقه، أو من ناحية مقادير خلقه، أو تخصيص أعضائه؛ فكل شيء فيه دالٌّ على وجود الله تعالى.

٢ ـ أن دراسة توحيد الربوبية في عصرنا الحاضر في غاية الأهمية؛ وقايةً للناس من خطر الإلحاد والأفكار الهدامة، ودافعاً لهم في التمسك بالدين، وهو المقتضي لإفراد الله بالعبادة؛ فكلما حققه الفرد في نفسه أثمر صلاحه، وصلاح مجتمعه.

٣ ـ أن الملاحدة ـ قديماً وحديثاً ـ ليست مشكلتهم في وجود أدلة على وجود الله أو في عدمها، وإنّما مشكلتهم في صورة الإلـٰه المُقَدَّمة لهم، أو في شريعته؛ فلما نفروا من العقائد المُقَدَّمة لهم عن الإلـٰه، وعن الشريعة الواجب عليهم التزامها؛ رأوا أن أفضل طريقة ـ للتخلص من ذلك ـ هي إنكار وجود

الإلـٰه، وكانت النصرانية ورجال الكنيسة من أكبر دوافع الإلحاد.

٤ ـ أنَّ الواجب على أهل الإسلام: إيضاح الصورة الصحيحة للإسلام؛ عقيدةً وشريعة، وتقديمها للعالم أجمع؛ فلا حجة للملاحدة بعد ذلك سوى الجري وراء اللذات المحرمة، والشهوات البهيمية.

هذا؛ وأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث؛ خالصاً لوجهه، مُفيداً لقارئه ودارسه..

وصلّى الله على محمد وآله وسلّم.

جدة: ١٢/٣/١٤٣٨هـ

أولاً
فهرس المصادر والمراجع

١ - **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**؛ المؤلف: سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي. الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٢ - **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية**؛ المؤلف: سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي، الناشر: مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، الطبعة: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣ - **الإلحاد**؛ المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، الناشر: دار اللؤلؤة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤ - **تجريد التوحيد المفيد**؛ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ.

٥ - **التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦ - **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**؛ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، .

٧ - **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**؛ المؤلف: عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨ - **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩ - **درء تعارض العقل والنقل**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠ - **رحلة عقل**؛ المؤلف: عمرو شريف، تقديم: أحمد عكاشة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة التاسعة: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١١ - **الرد على المنطقيين**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ؟؟؟ الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة.

١٢ - **ركائز الإيمان**؛ المؤلف: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة: ٢٠١٠م.

١٣ - **سنن ابن ماجه**؛ المؤلف: ابن ماجه - وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا.

١٤ - **سنن أبي داود**؛ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٥ ـ **سنن الترمذي**؛ المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٦ ـ **شرح أصول الإيمان**؛ المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١٧ ـ **شرح العقيدة الأصفهانية**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: حسين محمد مخلوف، الناشر: دار الكتب الإسلامية.

١٨ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**؛ المؤلف: عليّ بن عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدّم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٩ ـ **صحيح البخاري؛ (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**؛ لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، عدد الأجزاء: ٩، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٢٠ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**؛ المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

٢١ ـ **صحيح الجامع الصغير وزياداته**؛ المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٢ ـ **صحيح مسلم؛ (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**؛ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٣ ـ **الصفدية**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**؛ المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٢٥ ـ **العقيدة في الله**؛ المؤلف: عمر سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الخامسة: ١٩٨٤م.

٢٦ ـ **العلمانية ـ نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ـ**؛ المؤلف: سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي، الناشر: مكتبة الطَّيِّب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٧ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**؛ المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض.

٢٨ ـ **الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد**؛ المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ.

٢٩ ـ **الفوز بالسعادة**؛ المؤلف: برتراند رسل، المترجم: سمير عبده، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٩٨٠م.

٣٠ ـ **الفيزياء ووجود الخالق**؛ المؤلف: جعفر شيخ إدريس، الناشر: المنتدى الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣١ ـ **القول السديد شرح كتاب التوحيد**؛ المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩م.

٣٢ ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**؛ المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٣ ـ **كتاب التعريفات الاعتقادية**؛ المؤلف: سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٤ ـ **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**؛ المؤلف: عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٥ ـ **مجموع الفتاوى**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٦ ـ **المذاهب الفكرية المعاصرة ـ ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ـ**؛ المؤلف: غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية، جدة، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٧ ـ **مذاهب فكرية معاصرة ـ عرض ونقد ـ**؛ المؤلف: محمود محمد مزروعة، الناشر: مكتبة كنوز المعرفة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٨ ـ **مذاهب فكرية معاصرة**؛ المؤلف: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**؛ المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٠ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**؛ المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤١ ـ **مشكاة المصابيح**؛ المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٨٥م.

٤٢ ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**؛ المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٣ ـ **معجم مقاييس اللغة**؛ المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٤ ـ **المعرفة في الإسلام (مصادرها ومجالاتها)**؛ المؤلف: عبد الله بن محمد القرني، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

٤٥ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**؛ المؤلف: الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٤٢٥هـ)، المحقق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ودار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٦ ـ **مليشيا الإلحاد**؛ المؤلف: عبد الله بن صالح العجيري، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٤٧ ـ **منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد**؛ المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٤٨ ـ **النبوات**؛ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٩ ـ **نواقض الإيمان القولية والعملية**؛ المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ.

٥٠ ـ **وجود الله**؛ المؤلف: يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثالثة: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ثانياً
فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة